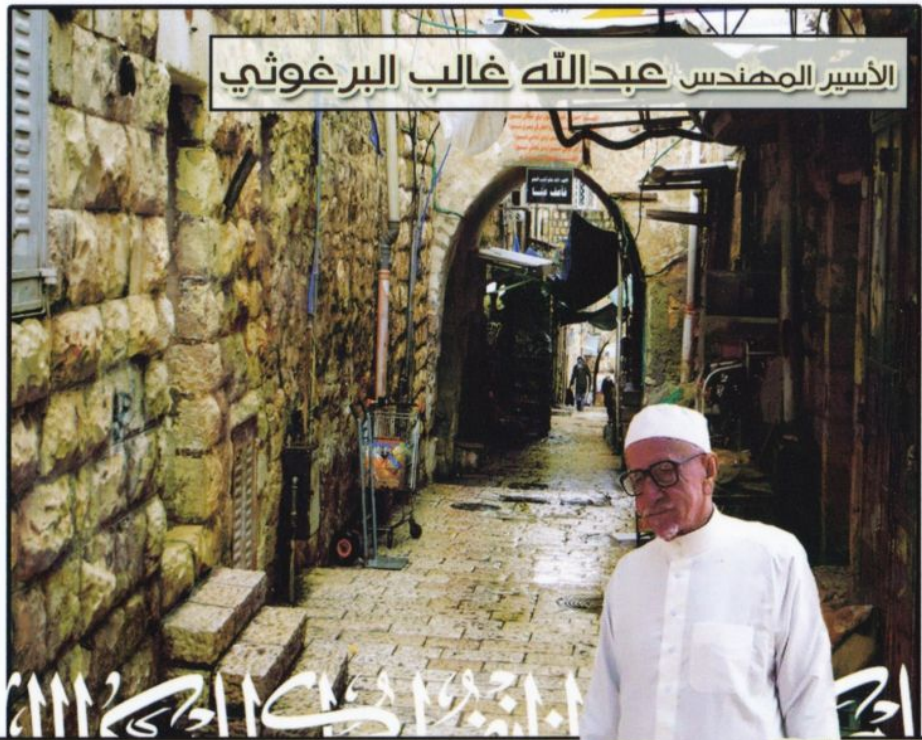


الأسير المهندس عبدالله غالب البرغوثي



المقدسى 9 شياطين الهيكل المزعوم



مكتبة الرمحي أحمد 135



مكتبة BOXOK

المقدسي
وشياطين الهيكل المزعوم

مكتبة الرمحي أحمد

الطبعة الأولى

2015م - 1436هـ

9789957606381 ISBN

رقم الإيداع 470/02/2015

من أقوال المهندس عبد الله البرغوثي

لست كاتباً محترفاً، فأنا مجرد مقاوم عشق إطلاق الرصاص إلى
صدور بني صهيون، وعندما عز الرصاص في بندقيتي، لم أجد سوى
الرصاص في قلبي، قلم الرصاص، كتبت وسأبقى أكتب، وستبقى
كلماتي تزعج كل من يقف في طريق المقاومة، كل شوكة وكل عقبة
وكل مرجف.

إهداء الكتاب

أهدي كل حرف نطقت به أو كتبت به إلى والدي غالب البرغوثي، الذي علمني
الأ أركع إلا لله عزوجل...

وأهدي كل إنجاز وصلت إليه إلى أمي الحبيبة، التي حملت همّي وذرفت
الدموع على فراقي ويعدي عنها، بسبب أسري في معتقلات العدو الصهيوني...
وأهدي هذه الرواية إلى زوجتي وأطفالي تالا وأسامة وصفاء...

وأهديها أيضاً إلى كل من ساعدني على إخراجها من داخل عتبات الزنزانة لكي
تري النور، عبر عيون من يقرؤها عموماً، وإلى أختي الغالية أم أسامة خصوصاً.

عبد الله غالب البرغوثي

فهرس الرواية

٦	مقدمة الكتاب
٨	هناك ولدت
١٨	القرآن الكريم سلاحي ودرعي
٣٧	حاييم شيطان من ظهر شيطان
٤٧	وكر من اوكار إبليس
٥٩	سماكة الجدران وكثافة القضبان
٧١	عائد إلى الأزقة... عائد من أجل القصاص
٩٠	فوائد المحن وعثرات الزمن
١٠٠	مشعوذ صاحب كرامات
١٠٥	مسك الختام

مقدمة الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

وبعد حمد الله وشكره على كل ما أنا فيه من خير وابتلاء، أقول أن رواية المقدسي وشياطين الهيكل المزعوم، هي صفحة من صفحات المقاومة ضد المحتل الصهيوني وضد شياطينه... شياطين الهيكل المزعوم.

ولذلك يجب عليك أو عليكم يا من تقرأ عيونكم أحرف وكلمات هذه الرواية، أن تعلموا أن ما يفصل الواقع والحقيقة المطلقة عن الحلم والخيال، هو مجرد شعرة واحدة لا أكثر، ولذلك عليكم الحذر عندما تريدون أن تنتقلوا بين الحقيقة والحلم، وبين الواقع والخيال، لأن تنقلكم هذا يجب أن يمر عبر تلك الشعرة الواحدة والضعيفة التي يمكن أن تنقطع، فتترككم على إحدى الضفتين، وهكذا سوف تفقدون متعة القراءة في رواية المقدسي وشياطين الهيكل المزعوم.

ولذلك، احذروا أن تقطعوا الشعرة بسبب كثرة تنقلكم بين الضفتين، ضفة الحقيقة المطلقة وضفة خيال الكاتب، فالكاتب هو الأسير الفلسطيني عبد الله غالب البرغوثي، الذي لم يرَ نور الشمس منذ أن اعتقل وعزل في أقبية العزل الانفرادي داخل السجون الصهيونية منذ عام ٢٠٠٣ وحتى اليوم الحالي.

فأنا يا عزيزي القارئ ويا عزيزتي القارئة، أمضيت معظم سنوات حياتي متنقلاً بين الحقيقة والخيال عبر تلك الشعرة الضعيفة، ولكنني وبفضل الله عز وجل لم أقطعها أبداً، بل إنني استطعت- ويحمد ربي- أن أكون صاحب أعلى حكم في تاريخ المحاكم الصهيونية، فلقد حكم عليّ بسبعة وستين مؤبداً وخمسة آلاف ومئتي عام، وأنا أيضاً- ويحمد الله- صاحب أكبر ملف أمني بتاريخ الشاباك الصهيوني منذ احتلال فلسطين.

ورغم ذلك كله، يشهد الله على أنني لو قتلت ألف مرة في سبيل الله عزوجل، ما توقفت عن مقاومة الاحتلال الصهيوني ولا عن مقاومة شياطين الهيكل المزعوم، سواء بالرصاص والقنابل والسلاح، كما فعلت في ساحات المعركة، أو كما افعل الآن عبر القلم من خلال الأحرف والكلمات التي أسطرها لتصبح روايات في تاريخ الأدب المقاوم.

عبد الله غالب البرغوثي

أكتب روايتي،،،

من قبوزنانة العزل الانفرادي الخاص في إحدى معتقلات العدو الصهيوني.

أكتب روايتي،،،

وأكثر ما يقلقني وأنا أكتب هذه الرواية هو نفاذ حبر قلمي، فأنا لا أملك سوى قلم واحد لا يوجد داخله سوى القليل من الحبر... فلقد مُنعت من قبل قوات العدو الصهيوني من شراء قلم جديد، ولذلك فإنني لن أطيل في روايتي هذه حتى يبقى لدي القليل من الحبر، لأستطيع كتابة بضع كلمات لأمي وأبي الحبيبين ولزوجتي وأطفالي ولكل من أحبني وكتب لي.

«حبر قلمي غدا اليوم أغلى علي من دماء جسدي».

هناك ولدت

في احد احياء مدينة القدس الشريف ولدت، وفي حيّ العطارين ترعرعت وكبرت في كنف جدي إبراهيم العطار، ذلك الجد الذي ورث مهنة العطاره ابا عن جد، وعمل على نقلها لأبنائه وأحفاده... لكن الجد إبراهيم العطار لم يكتفِ بنقل مهنة العطاره لأبنائه أو أحفاده فقط، بل اختار أحد أولئك الأحفاد لينقل له علوم التصدي لشياطين الهيكل المزعوم، ولا أدري أكان ذلك من حسن حظي أم لشقاء طالعي، أن جدي إبراهيم قد اختارني (أنا خالد) لكي أرث عنه ذلك النوع من العلوم؟ إبراهيم العطار... هو عطار يجيد ويتقن إعداد الوصفات الطبية من الأعشاب الطبيعية ذات الخواص العلاجية، وهو أيضاً حافظ لكتاب الله وحافظ لعدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة، تلك الأحاديث التي كانت تشكل له بعد القرآن الكريم دليلاً ومنازةً للتصدي لشياطين الهيكل المزعوم... تلك الشياطين التي قدم الكثير منها من المغرب العربي ومن شمال إفريقيا ومن مناطق أخرى بدأت أتعرف عليها عليها شيئاً فشيئاً.

أما سبب اختيار جدي إبراهيم العطار لي، فيعود لحادثتين وقعتا معي، كانت أولاهما عندما جاءت امرأة للدكان حيث كنا نبيع العطاره (الأعشاب الطبية)، وطلبت صنفاً من البخور ذي رائحة كريهة وغير مستحبة، وبعد أن ذهبت حاملة ما اشترته من بخور قال جدي: آه لو أعلم من تكون تلك المرأة.

- إنها زوجة منصور... منصور أبو يسري.

- وما أدراك وهي تلبس غطاء على وجهها لا يكاد يرى منه سوى عينيها؟

- لقد عرفتها من ابنتها الصغيرة التي كانت معها، فهذه المرأة لا أولاد عندها،

فكل ذريتها من البنات، وهي تسكن في بيت يقع عند أطراف البلدة القديمة في القدس، بعيداً عن وسطها بما يقارب الخمس دقائق مشياً.

- اذهب يا خالد واتبعها ولا تفارقها حتى تعلم جيداً أين ذهبت ومن زارت...
خالد إياك أن تدعها تراك أو تعرف من أنت... احذريا ولدي.
- حسناً يا جدي.

وذهبت خلف أم يسري زوجة منصور، وتبعتها في أروقة مدينة القدس القديمة.. تلك المدينة التي يتوه في شوارعها وأزقتها من لم يكن من ساكنيها الأصليين، لكل مدخل زقاق هناك عشرات المخارج من الأزقة والدهاليز، كلها متشابهة لمن لا يعرفها، فهي متاهة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فمباني القدس تلك التي داخل الأسوار المحيطة بالقدس من الخارج، والمحمية بعدة بوابات هي مبانٍ وبيوت متجاورة ومتلاصقة جداً، وهي قريبة نوعاً ما من أحياء الشام القديمة.

تبعت أم يسري عدة ساعات حتى انتهى المطاف بها للعودة إلى منزلها، وبعد ذلك عدت سريعاً إلى دكان العطاراة لأخبر جدي بما رأيت، فلم أجده، فقد كان يصلي العصر في المسجد الأقصى، فلتحقت به هناك وصليت معه، ثم عدنا إلى السوق معاً، وفي طريق العودة ودون أن يسألني جدي، بدأت أقص عليه ما رأيت: - لقد رأيت أم يسري تذهب أولاً إلى منزل (أبو عامر) وهناك انتظرت قليلاً، فوجدت أن أم عامر قد خرجت بصحبة أم يسري من المنزل، ولقد تركتا ابنة أم يسري الصغرى ميسرفي منزل أم عامر، ثم توجهت الامراتان إلى... وهنا سكت.

- ذهبنا إلى منزل شاؤول، صحيح؟

- نعم يا جدي، لقد ذهبنا إلى منزل اليهودي شاؤول، وهناك مكثنا عدة ساعات، ثم عادت أم يسري لتأخذ ابنتها من منزل أم عامر، وبعد ذلك ذهبت إلى منزلها.

كنت أصف لجدي الأزقة التي كنت أمر بها خلال ملاحقتي لأم يسري، أصفها بالتفصيل، وحتى عندما قلت له: إن أم يسري توجهت أولاً إلى منزل أم عامر، أخبرته بكل التفاصيل عن أبي عامر، وعن عدد أولاده وبناته، وماذا يعمل ليكسب رزقه، وزدته أن أم يسري تكون ابنة أخت أم عامر.

وما إن وصلنا إلى دكان العطار، حتى بدأ جدي يسألني عن شوارع وأزقة القدس وعن ساكنيها، فبدأت أحكي له عن كل شارع وكل زقاق، وعن كل من كان يسكن منازل تلك الأزقة والشوارع، وكنت أذكر له أدق التفاصيل وأكثرها خصوصية... ظل جدي طوال ذلك الوقت صامتاً مستمعاً، حتى جاء موعد صلاة المغرب، فتوجهنا معاً لنصلي، وبعد المغرب اصطحبني إلى منزله، وليس إلى منزل والدي، وهناك أكملنا الحديث... بل أكملت أنا الحديث، أما هو فظل على حاله يستمع إلى ما أقوله حول ساكني الأزقة المقدسية.

في صباح اليوم التالي، قرر جدي البدء في تحفيظي الفرقان، وعندما كنت أقول له: إن حفظ القرآن الكريم صعب، كان يقول: من يحفظ عن ظهر قلب ساكني أزقة القدس القديمة، لن يكون صعباً عليه أن يحفظ كتاب الله عز وجل! تولى جدي تحفيظي القرآن الكريم بالكامل، كان الحفظ في البداية صعباً، ولكن سرعان ما تحول إلى تحدٍّ ومرتعة ورغبة في حفظ المزيد مع مرور الأيام والأشهر، وهنا أجد أن جدي قد أخذ يُعدني من حيث لا أدري للبدء في تعلم علوم التصدي لشياطين الهيكل المزعوم.

أما الحادثة الثانية التي كانت وراء قرار جدي تعليمي تلك العلوم، فلقد كانت عندما رأيته مع أحد أطفال الحيّ في يوم الجمعة، حيث لم يكن جدي وأبي يعملان في محل العطار في ذلك اليوم، سألتني جدي عن اسم الفتى، فقلت له: إن اسمه حاييم، وزدت على ذلك: إن هذا الفتى حاييم هو ابن يعقوب اليهودي، وأنه يحاول معي منذ عدة أيام لكي أذهب معه إلى منزله، ولقد وعدني أن يعطيني بعض المال إن ذهبت معه.

على الفور قال لي جدي: اذهب معه، ولا تقل له إنك قد أخبرت أحداً بذلك... اذهب وأنا سأنتظرك، ولكن أريد منك يا خالد أن تحفظ كل ما سيحدث معك، والأنتس أي شيء مهما كان صغيراً أو تافهاً من وجهة نظرك. فذهبت للعب مع حاييم قليلاً، وما لبث حاييم أن أعاد العرض عليّ بالذهاب معه إلى منزله.

هناك في منزل والد حاييم يعقوب، رأيت العجب العُجاب، وقصصت على جدي ما رأيت بالتفصيل الممل:

ما إن دخلت منزل يعقوب اليهودي، حتى سألني هل أنت متوضئ؟

- لا، فلم تحن صلاة العصر بعد.

- حسناً، إذا أردت أن تكسب بعض المال، اجلس صامتاً ونفذ ما أقوله لك. قال يعقوب لي: افتح كف يدك الأيسر، وبعد ذلك رسم على كف يدي مريعاً، وبدأ يكتب حول المربع كلاماً لم أفهم منه أي شيء. كتب الكلام حول أضلع المربع الأربعة، بعد ذلك وضع في داخل المربع زيتاً، ووضع فوق الزيت زهرة زرقاء، ثم أمسك بورقة وكتب داخلها أحرفاً متفرقة وأسماء لا أعرفها من قبل، ثم وضع هذه الورقة المليئة بتلك الأحرف والكلمات على وجهي وثبتها بطاقيّة وضعها على رأسي، فكانت الطاقيّة هي ما يمسك بتلك الورقة، وبعد ذلك قال: لا تتحرك أبداً. ووضع على كامل جسدي غطاءً أسود ثقيلاً، فلم أتمكن من رؤية أي شبر حولي...

هنا وأنا في هذا الوضع، بدأ يعقوب بقراءة ما يشبه الشعر أو الكلام المتناسق مع بعضه البعض، وبعد قليل أصبحت أرى كل ما حولي وأنا ما زلت مغطى، وما إن نظرت داخل كف يدي حتى رأيت صورة رجل لا أعرفه!

قلت ليعقوب اليهودي ذلك وأنا مستغرب ومذعور. فقال لي: لا تخف... قل لصاحب الصورة التي في كف يدك: إنني سوف أنزل عليه أشد العقاب إن لم يبحث لي عن الذهب الذي سرق من منزل دافيد بن هانا. فقلت لصاحب الصورة ما قاله لي يعقوب. فبدأت الصورة تتحرك، ثم رأيت زقاقاً ويعدده بيتاً فعرفت الزقاق والبيت، وصفت ليعقوب موقع ذلك البيت، تابعت: إن الذهب في جرة صغيرة دفنت بجوار إحدى أشجار البيت من الداخل، وحددت له مكان الشجرة وموقعها بشكل مفصل لأنني كنت أراه.

بعد ذلك عاود يعقوب قراءة أشعاره أو كلماته المتشابهة، ثم لم أعد أرى شيئاً، فنمت واستيقظت عند باب دار يعقوب اليهودي. وعندما سألت حاييم ابن يعقوب عما حدث. ادّعى أنني وقعت على الأرض وأنا ألعب معه أمام المنزل، وأنا لم ندخل المنزل أبداً، ولم نر أباه أيضاً، ثم زعم أنني كنت أحلم. فشعرت بالتعب وعدت إليك يا جدي متعباً تائهاً.

بعد أن سمع جدي كل ما قلته له، بدأ يقرأ القرآن الكريم، وظل على هذه الحال عدة ساعات يقرأ ويقرأ، ويدعو الله ليكتب لي النجاة، ويدعو الله أيضاً أن يجعلني سيفاً من سيوف الإسلام لكي أتصدى لشياطين الهيكل المزعوم. وما إن انتهى جدي حتى عادت لي صحتي وأصبحت بأفضل حال.

قلت لجدي: هل كنت أحلم حقاً، ولم أدخل منزل يعقوب اليهودي؟ قال: لا يا ولدي، لم تكن تحلم، بل كنت في منزل الشيطان يعقوب، ذلك الشيطان الذي يعمل ليل نهار هو وشاؤول الشيطان على الفساد والإفساد، وعلى بث الشرور بين الناس، وبث الفرقة والضغائن، واستعباد ضعاف الأنفس ليكونوا خدماً لهم في تنفيذ ما يرغبون به من إشاعة الفتن، لكي يفادروا أهل القدس أسوار القدس وأزقتها، مما يتيح لأولئك الشياطين إقامة هيكلهم المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

هؤلاء الشياطين هم جزء من خطة وضعت لتهجير سكان بيت المقدس مسلمين ونصارى، لكي تبقى المدينة حكرًا على اليهود من أتباع الشياطين، الذين يسعدون برؤية المسلمين والنصارى يعانون ويتعذبون من آثار سحرهم الأسود الملعون، سحر الشياطين والجان.

لذا يا ولدي، يا خالدًا، أصبح واجباً عليّ أن أعلمك علوم التصدي لشياطين الهيكل المزعوم، لكي تكون درعاً وحمايةً للمدينة المقدسة من أولئك السحرة أتباع الشيطان الرجيم، وسوف تبدأ بذلك بعد أن تكمل حفظ القرآن الكريم بالكامل، ثم بعد ذلك تبدأ بحفظ عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تدلّك على بعض وسائل أولئك السحرة أتباع الشيطان، وما إن تنتهي حتى تكون البداية، بداية خالد العطار في مواجهة شياطين الهيكل المزعوم.

تعلمت آيات القرآن الكريم وحفظتها كلها عن ظهر قلب، وحفظت مئات الأحاديث النبوية، وما إن انتهيت حتى أجلسني جدي، وبدأ يقص عليّ قصص لصوص كنز سيدنا سليمان عليه السلام:

السحر يا ولدي، هو اتفاق بين الساحر والشيطان، يطلب من خلاله الشيطان الرجيم عليه لعنة الله من الساحر فعل بعض المحرمات والشركيات بالله الواحد الأحد، ومقابل ذلك، يساعد الشيطان الساحر في بعض الأعمال التي يرغب بها الساحر.

فكل من الشيطان والساحر شركاء في معصية الله، وشركاء في إشاعة الفساد والخراب وفتنة الناس. ولقد بدأت قصة تعاون الشيطان مع بني البشر بعد موت سيدنا سليمان عليه السلام. وكان أول من تعاون معه حتى برعوا بنو إسرائيل.

وهكذا يا ولدي خالدًا، أصبح اليهود لعنة الله عليهم معلمي السحر والشعوذة، وناشري تعاليمه ومفاسده.

وهاهم اليوم يستخدمون السحر في المسجد الأقصى ومدينة القدس، لأغراضهم الدنيئة، بعد أن كانوا قد نشروا فيها الرذيلة والفاحشة والمسكرات والمخدرات أيضاً، وبشكل كبير.

فهم منذ أن احتلوا مدينة القدس، جربوا كل الطرق، وكان هناك دائماً من يتصدى لطرقهم تلك ويقاومها ويكافحها، ونحن يا ولدي قد اختصنا ومنذ عشرات السنين، بمقاومة شياطين الهيكل المزعوم من خلال صدّ سحرهم المشؤوم بالقرآن الكريم والأدعية النبوية، فهي سلاحنا الوحيد الأوحده. هل تذكر قبل اعوام عندما قلت لك بأن تلحق تلك المرأة التي اسمها أم يسري؟ تلك المرأة كانت قد اشترت بخوراً ذا رائحة فاسدة، وهذا النوع يستخدم في سحر التفريق، ولقد استعمل الشيطان الساحر شاؤول ذلك البخور في تفريق (أبو يسري) عن زوجته الجديدة، ولكن الساحر كان قوياً جداً. فبدل أن يفارق أبو يسري زوجته الجديدة، فإنه فارق الحياة ومات... مات بسحر شاؤول الشيطان.

هذا شاؤول يا ولدي، قد حضر من المغرب مع اليهود الذين استقدمهم الصهاينة من اصقاع الأرض ليوطنوهم في فلسطين، ولقد كُفّ شاؤول بأن يعيث فساداً في القدس من خلال سحره الشيطاني الملعون.

كذلك هو حال يعقوب أيضاً، فيعقوب قد تسبب في موت عدد من الذين سحرهم بسحر شياطينه المجرمين. ويجب أن تعلم يا ولدي أن كلاً من الأئمة مالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة قد أباحوا القصاص من الساحر الشيطاني الذي يتسبب في موت إنسان، فالقصاص هنا جاء شرعاً، فالساحر الشيطان لا يستتاب، فهو كافر قاتل وجب قتله والقصاص منه، وهناك تفصيل طويل للعلماء في هذه المسألة.

وهذا هو المطلوب منك يا ولدي بعد أن أصبحت الآن من حفظة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة... المطلوب منك هو التصدي لهؤلاء الملاحين من السحرة والمشعوذين.

والوقوف في وجه كل من سبب بسحره موت إنسان في مدينة القدس، فنحن حماة القدس من شر الشياطين وأتباعهم.. ولكن يا ولدي قبل أن أوكل لك مهمة التصدي، يجب أن أعلمك عدداً من الأمور التي تستطيع من خلالها معرفة أتباع الشياطين من السحرة الفاجرين.

فهؤلاء السحرة يطلبون من الذين يترددون عليهم للحصول على أسحارهم الشريرة، ألا يقوموا بشراء الأشياء التي يتطلبها عمل السحر من مكان واحد، بل من عدة أماكن حتى لا يثيروا شبهة أصحاب محلات العطارة الذين يخافون الله، وهم كثروا لله الحمد، ولذلك عندما اشتريت أم يسري البخور ذا الرائحة غير المستحبة كنت أخشى أنها اشتريتها لكي تبخر بها حمام منزلها في محاولة منها لطردها من بيت الخلاء، ولكنها أخذته إلى شأوول وصنعت به عنده العمل الشرير، ومن المؤكد يا ولدي أنها قد اشتريت قبل أن تحضر إلى دكاننا بعض الأمور والحاجات الأخرى التي تلزم ذلك النوع من السحر من عطارين آخرين.

وهنا سوف أعلمك عن أنواع الأعشاب والمواد التي تباع لدينا في محل العطارة وتلك المواد ذات الاستعمال المزدوج... فتعلمها واحفظها جيداً. ولا تنس أن العسل الصافي يتحول إلى موت قاتل إذا ما وضع داخله بعض السم.

ثم يا ولدي: احذر من كل من يكتب الطلاسم، ومن كل من يقرأ التمانم والطلاسم غير المفهومة مثلما حدث معك عند ذلك الشيطان يعقوب اليهودي.

ويما أنك- ولله الحمد- حفظت القرآن الكريم وحفظت من السنة النبوية ما تيسر لك، أكلّفك بمجابهة شياطين الهيكل المزعوم، وبعد أن تتعلم أصول التداوي بالأعشاب، وما يستعمل منها استعمالات مزدوجة، يتوجب عليك يا خالد أن تبدأ بحضور جلسات العلاج، تلك الجلسات التي أقوم بها لأدحر ظلم السحرة الظالمين، وأعين عباد الله على الشفاء مما أصابهم من أمراض، جزاء أعمال السحرة اليهود، وسوف ترى يا ولدي أن الهدف الرئيس للشياطين وسحرتهم اليهود هو العمل على هدم القدس وقبة الصخرة لكي يقام هيكلهم المزعوم مكانها.

كنت خائفاً من حضور تلك الجلسات مع جدي، ولكنني كنت مؤمناً إيماناً راسخاً وعميقاً أن ما يقوم به جدي إبراهيم العطار، وما سوف أقوم به أنا، هو لله عز وجل، فجدّي كان مثالاً للزهد والتقشف ومثالاً للمسلم المؤمن الذي يؤدي عباداته ويواظب عليها دون انقطاع متجاوزاً المرض وكبر عمره.

ولقد كان دافعي أنني ما عدت ذلك الطفل الصغير الذي ذهب مع حاييم بن يعقوب قبل أعوام طويلة، فأنا اليوم أصبحت شاباً قوي البنية وشديد التمسك بتعاليم ربي وديني. ومنذ أن عهد إلي جدي حضور تلك الجلسات كان واجباً عليّ أن أقوم بعبدة أمور مهمة، حتى لا أكون ضحية للشياطين والجان. فكان واجباً يومياً عليّ: أن أتناول سبع تمرات على الريق، بعد أن أتوضأ لأذهب لصلاة الفجر، وكانت تلك التمرات من تمرات المدينة المنورة، وذلك اقتداءً بقول سيدنا محمد ﷺ في حديثه النبوي: (من تصبّح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر). وكنت أتحصّن دائماً بالوضوء حتى ولو لم تكن هناك صلاة، فلقد كنت دائم الوضوء، ولا أذهب إلى النوم أبداً إلا وأنا متوضئ وطاهر.

وبالطبع حرصت أن أكون من أولئك الذين يحافظون على صلاة الجماعة في الأوقات كافة مثل جدي تماماً. ولم أكن أسهر مع أصدقائي أو رفاقي ليلاً بل إنني أقوم الليل مصلياً قارئاً للقرآن الكريم والأدعية. وعندما كنت أدخل الحمام أو الخلاء، أستعيد بالله من الشيطان الرجيم، وخاصة أن جدي أكد لي أن الشياطين يستغلون فرصة وجود المسلم في هذا المكان الخبيث، الذي هو مسكن للشياطين ومأواهم.

حتى عندما كنت أصلي، كنت ألح على الله تعالى بالاستعاذة به عز وجل من الشيطان كي لا يفسد عليّ صلاتي، ويوسوس لي عند أدائي لها. أما آية الكرسي فكانت سلاحاً دائماً كل الوقت، ولم أغفل بالطبع عن سورة البقرة كاملة وخاصة الآية التي توضح العلاقة بين سليمان عليه السلام وبين الشياطين: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيَسَّ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠٢).

«فأنا كنت مؤمناً بوجود الجن والشياطين، واكتسبت هذا الإيمان مما ورد من آيات عديدة في القرآن الكريم، ومما ورد أيضاً من أحاديث رسول الله محمد عليه أفضل صلاة وأحسن تسليم.

القرآن الكريم سلاح ودرعي

دَلَّنِي جَدِي عَلَى الطَّرْقِ وَالْوَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا السَّاحِرُ لِكَيْ يَتَقَرَّبَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، حَيْثُ أَخْبَرَنِي أَنَّ هُنَاكَ مِنَ السَّحْرَةِ شَدِيدِي الكُفْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ يَقُومُ بِارْتِدَاءِ المِصْحَفِ الشَّرِيفِ فِي قَدَمَيْهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ بِهِ إِلَى الحَمَّامِ وَكِرِ الشَّيَاطِينِ، لِيُدْنِسَ المِصْحَفَ أَمَامَهُمْ، وَبِذَلِكَ يَتَقَرَّبُ السَّاحِرُ مِنَ كَبِيرِ الشَّيَاطِينِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ.

وَهُنَاكَ مِنَ السَّحْرَةِ الضَّجْرَةُ مِنْ يَقُومُ بِكِتَابَةِ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِالمِياهِ النُّجَسَةِ كَالْبَوْلِ وَالدَّمَاءِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَلْقِي تِلْكَ الأَوْرَاقَ الَّتِي كَتَبَهَا فِي بَثْرٍ مَهْجُورٍ.. مِنْ تِلْكَ الأَبَارِ الَّتِي يَسْكُنُهَا الجِنُّ المَلْعُونِ.

وَكَانَ بَعْضُ السَّحْرَةِ يَقُومُ بِكِتَابَةِ السَّبْعِ المِثَانِي، بِشَكْلِ مَعكُوسٍ، وَأَحْرَفٍ مَقْلُوبَةٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَلْقِي تِلْكَ الأَوْرَاقَ فِي إِحْدَى جُحُورِ الصَّحْرَاءِ، حَيْثُ يَسْكُنُ هُنَاكَ الجَانُّ الفَاسِقُ، وَغالباً مَا كَانَ هؤُلاءِ السَّحْرَةَ يَظْلُونَ بِلا اسْتِحْمامٍ لِكَيْ يَبْقُوا مُحَافِظِينَ عَلَى نِجَاسَةِ أَجْسَادِهِمْ، فَالنَّجَاسَةُ إِحْدَى وَسائِلِ تَقَرُّبِ هؤُلاءِ السَّحْرَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَهُنَاكَ يَا وَلَدِي خَالِداً، آخَرُونَ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ وَيَذْبِحُ الذَّبَائِحَ لِتَأْكُلُهَا، وَإِنْ هَذَا النُّوعُ مِنَ السَّحْرَةِ يَطْلُبُ مِنَ الَّذِينَ يَأْتُونَ عِنْدَهُ لِلحَصُولِ عَلَى سِحْرِهِ، بَأَنَّ يَحْضُرَ مَعَهُ خِرَافاً أَوْ دِجَاجاً أَوْ بَطْأً، وَكَانَ السَّاحِرُ يَحْدُدُ لَوْنَ تِلْكَ الحَيَوانَاتِ حَسَبِ رَغَبَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَا إِنْ تَحْضُرَ تِلْكَ الحَيَوانَاتِ حَتَّى يَقُومَ السَّاحِرُ بِذَبْحِهَا قَائِلاً: أَذْبِحْكَ بِاسْمِ الشَّيْطَانِ لا بِاسْمِ اللّهِ.

وبعد ذبحها باسم الشيطان كان الساحر يطلب من أولئك الضالين الذين احضروا تلك الذبائح، أن يقوموا بوضعها في إحدى الأماكن التي كان الشيطان يحددها مسبقاً للساحر مثل البيوت المهجورة والمهدمة، ومثل أماكن تجميع النفايات على أن توضع بجوارها وليس بداخلها.

ومن السحرة من كان يتقرب إلى الشيطان من خلال صلواته بالكواكب، وغالباً ما تجد حول عنق الساحر عدداً من التماثيل الجلدية موضوعاً داخلها طلاس كضر بالله عز وجل، وهي طلاس يكتبها الساحر بأمر الشيطان ليعلقها حول عنقه لكي يبقى الشيطان في خدمة الساحر، ولذلك يا ولدي يجب أن تعلم جيداً أن الشيطان والجن لا يساعدان الساحر ولا يخدمانه إلا بمقابل، وكلما كان الساحر أشد كفراً بالله عز وجل وأكثر تمادياً في تحقيق القرآن الكريم، وارتكاب المعاصي، كان الشيطان أكثر طاعة له، وأسرع في تنفيذ ما يطلبه منه.

وإذا قصر الساحر وتباطأ في تنفيذ أوامر الشيطان الكفرية، فإن الشيطان يتوقف عن خدمة هذا الساحر ويعصي أمره، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على هدف واحد وهو معصية الله عز وجل، وأذية بني البشر وخاصة المسلمين المؤمنين. أما هنا في القدس، فقد اجتمعا على إحلال الفساد وتدمير العباد والبلاد لكي يبني اليهود بمساعدة الشياطين هيكلمهم المزعوم.

أنت يا خالد إذا نظرت إلى وجه الساحر فسترى على الفور ما قلته لك، وستجد وجهه مظلماً مسوداً كأنه غمامة سوداء يطل عليك. وسترى أيضاً أن السحرة رغم ما عندهم من علوم السحر يعيشون في شقاء دائم مع أولادهم وأزواجهم وحتى مع أنفسهم، فالساحر لا ينام هادئ البال أبداً، بل يظل طوال الليل يستفيق فرعاً وخوفاً المرة تلو المرة.

وما إن يبتعد الساحر قليلاً عن خدمة الشيطان حتى يقوم الشيطان بأذية زوجته وأولاده ويقوم أيضاً بإيقاع الشقاق والمشاكل بينهم. ولذلك لا تظن أبداً أن الساحر الفاجر يحيا حياةً هائلةً سعيدة، لا والله بل يحيا حياةً صعبةً تقتله ببطء. ولذلك، فإن اليهود عليهم لعنة الله عز وجل توحدوا مع الشيطان على هدف واحد، وهو خراب بيت المقدس. وهم الآن يعيشون خراباً في تلك الأنفاق التي يحفرونها أسفل المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة. وفي تلك الأنفاق يمارسون سحرهم ومعاصيهم بمساعدة الشيطان، طمعاً من الاثنيين في هدم المسجد، ولقد لوحظ يا ولدي أن هناك عدداً من أشجار ساحات بيت المقدس التي لا يعلم عمرها سوى الله عز وجل بدأت تموت بشكل مفاجئ، ودون سابق إنذار أو علم. إيه يا عزيزي... إن تلك الأشجار الطيبة المباركة ما كانت لتموت لولا أنهم دخلوا إليها من خلال تلك الأنفاق التي ملؤوا بها باطن أرض بيت المقدس.

واعلم يا ولدي أنهم في تلك الأنفاق قد بنوا عدداً من المعابد التي لا يُعبد فيها الله عز وجل، وإنما يُعبد فيها الشيطان الرجيم عليه لعنة الله، بغية الإسراع في دمار المسجد الأقصى، فهناك يا ولدي يذبحون ذبائح الشيطان، ويذبحون من يختطفون من أبناء فلسطين أو من أبناء المسلمين أو من أبناء القدس وصغارها. يا بني: في رقبتهك أمانة، فحافظ عليها، وكن درعاً من دروع الإسلام والحق في مواجهة شياطين الهيكل المزعوم واليهود الملاحين.

وكن على يقين أن هناك من الجن جنأ مسلمين، فلا تؤذهم أبداً، فهم عون لك على الكافر والشيطان الفاجر.. غداً بإذن الله سنذهب معاً لنرى شاباً ذهب عقله، هذا الشاب المسكين قامت زوجته- سامحها الله- بالتوجه إلى أحد السحرة، وطلبت منه أن يسحر زوجها لكي لا يتزوج عليها أي امرأة أخرى، فأصبح الشاب يكره كل النساء حتى أمه وأخواته، وما لبث أن أصبح يكره زوجته أيضاً، وبعد ذلك فقد عقله وضاع فطنه.

في اليوم التالي، ذهبت مع جدي إلى منزل أهل ذلك الشاب، رغم أن جدي لم يكن يذهب لمتزل أحد من الذين يعالجهم قط، ما إن دخلنا حتى رأيت شاباً أعرفه اسمه «محسن»، وهو شاب مصلٌ وعابد لله، ولا يؤذي أحداً من عباد الله، بل إنه كان من أطيب وأفضل شباب مدينة القدس، فهو يحافظ على صلاة الجماعة في المسجد الأقصى، كيف لا وهو أحد حراس المسجد الأقصى.

رأيتُ شاباً مقيداً بالحديد في قدميه ويديه، ومربوطاً في أحد أعمدة المنزل. طلب جدي من أهل «محسن»، أن يفكوا قيده، ولكنهم قالوا إنه إذا ما فك قيده فسوف يقوم بضرب من حوله وبعد ذلك يهرب من المنزل ومن مدينة القدس أيضاً إلى الجبال، وذلك ما حدث مرتين عندما أردنا تغسيه في المرة الأولى، وعندما أردنا إحضاره إليك يا شيخ إبراهيم، ولم نتمكن من العثور عليه وإعادته إلا بعد عدة أسابيع. ولذلك نرجو منك يا شيخ أن تعالجه وهو مقيد بالسلاسل كما هو الآن؛ فإنه لا طاقة لنا عليه، فهو رغم صغر حجمه إلا أن به قوةً كبيرة جداً لم نعدها فيه. اقترب جدي من محسن المقيد بالسلاسل، وبدأ بقراءة سور من القرآن الكريم، وطلب مني أن أقف إلى شمال محسن وأن أقرأ معه نفس سور القرآن التي كان يقرؤها، فبدأ يقرأ في أذن محسن اليمنى، وأنا أقرأ في أذنه اليسرى، وكان محسن طوال تلك الفترة يسب ويشتم ويبصق، لكننا بقينا على حالنا من قراءة القرآن حتى خمد غضبه وانهار، كأنه خرقة بالية، وعند ذلك استمر جدي بالقرآن واستمرت أنا أيضاً، فأشار لإخوة محسن بأن يفكوا السلاسل عن قدميه وعن يديه، وأن ينقلوه إلى إحدى حجر المنزل، وطوال ذلك الوقت وصولاً إلى الحجرة بعد فك القيد بقينا نقرأ تلك الآيات الكريمة.

وضع محسن في وسط الغرفة، وأخذ جدي يتوقفُ بهدوء عن قراءة الآيات القرآنية، وطلب مني ألا أتوقف عن قراءة تلك الآيات. أحضروا لجدي وعاءً فيه ماء فقرأ القرآن الكريم في هذا الوعاء، وأمسكه بيديه... ويعد ذلك طلب مني أن أتوقف عن القراءة. فتوقفت، وبقي محسن ممدداً وسط الغرفة، وما هي إلا ثوانٍ معدودة على توقفي حتى خرج من محسن صوت يتحدث مع جدي، كان ذلك الصوت صوتاً غير صوت محسن، كان يختلف عنه كلياً وكان أقرب لصوت المرأة منه لصوت الرجل. مكتبة الرمحي أحمد

قال الصوت لجدي: اتركني وشأني فأنا لم أوذِك.

- ما اسمك أيتها الجنية؟
- لن أخبرك اسمي.
- إذاً أخبريني بدينك؟
- أنا مسلمة.
- وهل يجوز للمسلمة أن تعذب مسلماً آخر؟
- أنا لا أعذبه، إنما أرادت زوجته أنه تسحره بسحر يبعده عن النساء، فابتعد عن النساء كلهن حتى عن زوجته، ويعد ذلك خرج منه الجني الذي كان قد وكله الساحر يعقوب بذلك، ففكرت أن أدخل به لأنني أحبه. وأنا أحبه لا أعذبه، ولا أريد منه العودة إلى زوجته فهي سيئة.
- إذا أنت تريدين التفريق بين محسن وزوجته؟
- نعم أريد ذلك.
- هذا الفعل حرام عليك، فاخرجي منه وابتعدي عنه.
- لا.. لن أخرج فأنا أحبه حباً كبيراً.

- لكن محسن لا يحبك بل يكرهك.
- لا إنه يحبني أكثر مما أحبه أنا.
- هو يكرهك وأنت كاذبة، ولقد كذبت أيضاً عندما قلت إنك جنية مسلمة، فإن لم تخرجي الآن وفوراً سأقوم بحرقك.
- كيف تحرقني؟.. إن حرقتني فسيموت محسن.
- لا لن يموت، ولن يحترق، إنما أحرقك أنت وحدك.
- إن خرجت فسوف تقتلني شياطين الساحر يعقوب.
- وكيف يقتلونك ولماذا؟
- لأن يعقوب عندما أمرني بالدخول لجسد محسن، قال لي: إن خرجت سأقتلك، ولذلك وضع يعقوب حول جسد محسن شيطانين قويين ليمنع خروجي.
- قال جدي: سأدلك على طريقة تخرجين بها سالمة دون أن يمَسَّك يعقوب الشيطان أو شياطينه الفجار بسوء.
- كيف؟ دلّني.
- أولاً يجب أن تسلمي، وتديني بالإسلام.
- إن أسلمت، لا تحرقني أنت، ولا يقتلني هؤلاء الشياطين؟
- نعم.. أقسم لك بالله على ذلك.
- كان كل ذلك يحدث وأنا أشاهد وأسمع، وأكاد لا أصدق، بل إن بعض أخوة محسن تركوا الغرفة خوفاً مما كانوا يسمعونه ويرونه. فمحسن كان يتحدث بصوت تلك المرأة الجنية وهو مغلّق فمه، والصوت كان يخرج من بين شفّتيه محرّكاً إياهما.. كنت أقف مذهولاً لا خائفاً، وأردد الآيات القرآنية الكريمة داخل صدري دون أن أرفع صوتي، بل أحرك لساني داخل فمي دون أن أنطق بحرفٍ واحد.

عندما طال الجدل بين جدي وبين الجنية الكافرة الكاذبة، التي سخرها يعقوب اليهودي لأذية محسن قال لها جدي: لقد نفذ صبري وسأصب هذا الماء الذي قرأت عليه سوراً من القرآن الكريم، وما إن يلامس الماء جسد محسن حتى تحترقي أنت.

- لا تفعل سأسلم، أقسم لك، وسأخرج، أقسم لك.

- ردي معي: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ونبيه».

- اتضمن الآ يقتلونني؟، أتقسم على ذلك؟.

- نعم أقسم لك بالله العظيم أنه لن يمَسَّك سوء إن أنتِ أسلمتِ وصنعتِ ما أقوله لك.

- حسناً سأنطق: الشهادتين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ونبيه.

- الآن عليك أن تحفظي الموعودتين وآية الكرسي، لكي تحمي نفسك في الطريق إلى مكة المكرمة.

- لا حاجة لأن تحفظني تلكما السورتين، فأنا أحفظهما وأحفظ أيضاً آية الكرسي عن ظهر قلب؛ لكثرة ما رددتهما وأنتِ تقرأ في أذن محسن.

- إذاً اخرجي الآن وأنتِ تقرئين الآيات وتوجهي فوراً إلى مكة المكرمة، فهناك جنّ مسلمون أقوياء وأشداء سوف يرعونك ويحمونك... اخرجي باسم الله عز وجل.

صمت الصوت، فتكوّر محسن على نفسه، وكأنه طفلٌ صغير نائم، قال جدي لإخوته: عندما يستفيق اسقوه من هذا الماء، أما الآن فدعوه ينام ولا تستغربوا لأنه سينام يوماً أو أكثر، ولا تزعجوه أبداً.

بعد عدة أيام حضر محسن مع أحد إخوته ووالده إلى دكان العطارة، حيث كنت أجلس هناك مع جدي، حضر ليشكر جدي على ما فعله لأجله. حضر وهو محسن الذي كنا نعرفه، ذلك المقدسي المصلي، الذي يعمل على حراسة بوابات المسجد الأقصى من الصهاينة واليهود واتباع الشيطان.

لم يكن محسن يدري ما قد حلّ به، فقد كان عن تلك الأحداث في غيبوبة طويلة، استمرت منذ أن دخل به سحر يعقوب الشيطان عبر تلك الجنية الكافرة، التي أسلمت على يدي جدي إبراهيم العطار.

كان أول ما قام به محسن بعد أن علم ما حدث معه من قبل زوجته التي سحرته، أن قام بتطليقها، وقال لوالدها إنني لا أريد ابنتك على ذمتي فهي أتت إحدى الكبائر وهي السحر، عبر تعاونها على تنفيذ طلبات يعقوب اليهودي، الذي سلط عليّ شياطينه، فأذنتني.. حاول جدي إقناع محسن أن يعيد زوجته، ولكنه أصر على تركها وإلى الأبد.

طلب جدي من محسن أن يحفظ عدداً من الآيات القرآنية وعدداً من الأدعية، وأن يحافظ على جسده طاهراً، وألا ينام إلا متوضئاً حتى لا تتمكن شياطين وجنّ يعقوب من العودة إلى جسده ثانية.

لقد كانت حالة محسن مجرد حالة تمر على جدي فيعالجها، ويتم شفاؤها بإذن الله عز وجل، فجدي لا يستعمل في العلاج سوى القرآن الكريم وسوره المباركة وبعض الأدعية. وكان جدي إبراهيم العطار يرفض رفضاً قاطعاً أن يحصل على أي مقابل مادي أو غيره ثمناً لعلاج المرضى الموسوسين بالجان والمصابين بالأسحار. بل إنه إذا وجد من كان قد أتم علاجه ملحاً على تقديم المال والمكافأة يطلب منه شراء عدة نسخ من القرآن الكريم، ثم يقول له وزّع نصف هذه النسخ القرآنية على زوار المسجد الأقصى، واجعل ما تبقى من نصفها الآخر وقفاً لله عز وجل في المسجد الأقصى.

هكذا كان جدي وهكذا كنت مصمماً أن أكون..

وبعد أن أتى إلينا محسن مشافئ معافئ، كان هناك سؤال قمت بطرحه على

جدي، فقلت:

لماذا يا جدي لم تحرق تلك الجنية، ألم تكن كاذبة كافرة؟.

- ألم ترَ أنها بعد حديثي معها واقناعي لها أسلمت؟.

- نعم لقد أسلمت.. أسلمت بعد نقاش وجدل كبيرين، فلو أنك أحرقتها لكان أحسن وأفضل وأضمن ألا تعود إلى جسد محسن.

- إن حرقتها سيخسر ذلك الشيطان يعقوب جنية واحدة لا أكثر، ولن يؤثر ذلك عليه فهو شيطانٌ قذُرٌ نجس، لا يهمله سوى نفسه، وسوى جعل أهل القدس يتركون المدينة، ألم تسمع أخوة محسن عندما قالوا: إن أخاهم محسن كان يفر من مدينة القدس إلى الجبال البعيدة، فهذا ما كان يسعى إليه شياطين الهيكل المزعوم، فلو حرقت الجنية، فسوف يحضر يعقوب اليهودي بدلاً منها ثلاثاً أو أربعاً، ولن نستفيد من حرقتها شيئاً. أما الآن فقد أسلمت وأصبحت جنية مُسلمة وذهبت إلى مكة المكرمة، وهذا ما كنت أسعى إليه وأتمناه يا ولدي خالد، لقد منّ الله عليّ بأن جعل تلك الجنية الكافرة تسلم على يديّ، وذلك فعل يؤجر كلانا عليه يا ولدي، ألم تكن معي، ألم تساعدني؟ فأجرك واجري على الله تعالى.

- نعم أجري وأجرك على الله تعالى، فقد زاد بذلك عدد الجن المسلمين واحداً، وهذا شيء عظيم، وخسر الجن الكافر واحداً، وهذا أيضاً شيء عظيم يا جدي.. أما أنا قد كسبت معرفة جديدة وطريقة ما كنت أعرفها في التصدي لشياطين الهيكل المزعوم والجان المذموم.

في ذلك اليوم، أدركت أن المعركة بين شيوخ القدس الشريف الذي يقع تحت سطوة الاحتلال اليهودي منذ عام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا معركةً طويلة ومتواصلة، لها أشكال وأوجه متعددة، فهناك من يقاوم المحتل بقوة السلاح، ومن يقاوم بقذف الحجارة، وهناك من يقاوم ذلك المحتل من خلال تصديه

لمحاولات شياطين الهيكل المزعوم تدمير القدس وهدم بيت المقدس، لكي يقيموا على أنقاضه هيكلهم المزعوم... ذلك الهيكل الذي بدأ اليهود منذ أعوام طويلة يسخرون كل إمكانياتهم من أجل بنائه، وذلك ما لن نسمح به بعون الله عز وجل، صحيح أن المعركة غير متكافئة، لكن نحن أهل فلسطين والقدس عباد الله الواحد القهار، لن نركع ولن نستسلم أبداً، ولن يُبنى هيكلهم المزعوم على أنقاض قدسنا وإقصانا أبداً، حتى لو قتلنا كلنا عن بكرة أبينا. فالقدس بيت من بيوت الله، ولن تكون أبداً وكرراً لأتباع الشيطان الملعون بإذن الله عز وجل.

كما أن المعركة مع الشياطين معركة مستمرة متواصلة، فالساحر لا يكتفي بوضع جني واحد لينفذ ما يرغب به، بل إن السحرة يقومون برصد عدد من الجن للتأثير على المسحور، وبهذا الرصد السحري يمس الجن الإنس، ويلبس جسده لكي يستطيع فعل الأثر المطلوب في الإنسان، ويكون السحر ذا تأثير بالغ، ولا ينحل السحر إلا باستخراج السحر وإبطاله، وهذا هو الأفضل على أن يتم ذلك بالقرآن الكريم.

فقد رصد الساحر يعقوب اليهودي عدداً من الجن لكي يتسلطوا على محسن، وتكفل عددٌ من أولئك الجن بمنع الجنية التي كانت داخله من الخروج والهرب بفعل قراءة جدي للقرآن الكريم، فالساحر عندما يعلم أن المسحور قد توجه للعلاج فإنه يدفع أعداداً كبيرةً من طوائف الجن إليه يتناوبون عليه إذا تعب بعضهم، فما إن يهن ويتعب جني حتى يتبدل بجني آخر، ولذلك طلب جدي من محسن المواصلة والمتابعة في الاحتراس من عودة الجن إليه، ولقد تمكّن محسن من المحافظة على نفسه من خلال قراءته للقرآن الكريم والأدعية المناسبة.

كم كنت أتمنى لو أن جدي طلب مني أن أقتص من ذلك الشيطان يعقوب بأن أحرقه بالنار، فالنار أو الموت هو القصاص من كل ساحرٍ فاجر. لم أجرؤ على طلب ذلك من جدي، فهو لم يكن ليدعني أفعل ذلك، فجدي طيبٌ صبور.. أما أنا فأخشى أنني وبسبب كوني شاباً أن العجلة والقسوة تدفعانني للتفكير بتعجل القصاص من يعقوب الشيطان ومن شأؤول اليهودي.

في أحد الأعوام، وبعد أن كنت قد حضرت مع جدي العشرات من جلسات العلاج بالقرآن الكريم لطرد الجن. حلّ شهر رمضان المبارك، وهو الشهر الذي تصفد به الجن والشياطين، في ذلك الشهر وفي تلك الليالي وبعد صلاة التراويح، كان جدي كل ليلة يجلس ليعلمني كيف أستطيع التفريق بين أنواع السحر بعضها عن بعض.

بدأ جدي بالسحر المسمى «سحر التفريق»... فقال: لقد قرأت وتعلمت عن هذا النوع من السحر الكثير، أصاب الكثيرين ممن قمت بعلاجهم، فسحر التفريق هو عمل الساحر سحراً بهدف التفريق بين الزوجين، أو لبثّ البغض والكراهية بين صديقين فيتحاصمان ويتفرقان. وسحر التفريق يصيب عدداً آخر من الناس، سأذكرهم تفصيلاً لك حتى تحفظهم جيداً.

فأول تلك الحالات هي:

التفريق بين الرجل وأبيه.

ثم التفريق بين الرجل وأمه التي ولدته.

ثم بين الرجل وأخيه.

وبين الرجل وصديقه أو شريكه في العمل والتجارة.

أما أكثرها شيوعاً فهو التفريق بين الزوج وزوجته، وهذا يا ولدي هو أكثرها انتشاراً في زماننا الحالي، فهو سحرٌ يلجأ طالبه للساحر مقدماً له كل ما يطلبه من أجل إفساد حياة زوجين سعيدين، فيحول حياتهما إلى جحيم لا يطاق، لتنتهي علاقتهما غالباً بالطلاق إن لم يتوجَّها لمن يستطيع فكَّ ذلك السحر الملعون.

وفي هذا السحر، سوف تلاحظ على الزوجين تغيراً في الأحوال بشكلٍ مفاجئ، فيتحول الحب الذي كان بينهما إلى كرهٍ وبغض، ويصبحان كثيري الشك فيما بينهما، ويلجأ أن إلى تعظيم المشاكل الصغيرة التافهة، حتى تصبح رغم صغرهما كبيرةً عظيمةً فتتغص عليهما حياتهما.

حتى إن الرجل يرى زوجته قبيحة، رغم أنها جميلة، وكذلك المرأة ترى زوجها قبيح المنظر، رغم حسنه وجماله.

وهنا يا ولدي يا خالد، يجب أن تعلم أن الشيطان هو من يتصوّر على وجه أحدهما ليراه الآخر بتلك الصورة القبيحة السيئة، حتى إن الزوجين يصبحان لا يطيقان المكوث في مكانٍ واحدٍ معاً، فما إن يدخل أحدهما المنزل حتى يشعر الآخر بالضيق ويرغب في مغادرة المنزل على الفور.

أما كيفية حدوث هذا السحر- سحر التفريق- فيبدأ عند ذهاب المرأة أو الرجل إلى الساحر، ليطلب منه أن يفرق بين فلان وزوجته، ثم يطلب الساحر من الذي حضر إليه لهذه الغاية أن يُعلمه باسم الزوج واسم أمه أيضاً، واسم الزوجة واسم أمها أيضاً، ثم يطلبُ منه أثراً من آثارهما، مثل بضع شعرات أو قطعة ملابس عليها عرقهما أو طاقة أو منديل.

وإن لم يستطع إحضار طلب الساحر، فإن الساحر- لعنة الله عليه- يلجأ للماء، فيقوم بقراءة طلّاسم كفرية على ذلك الماء، ويطلب من طالب السحر أن يسكبه في طريق أحد الزوجين، أو أن يضع لهما الماء في الطعام أو الشراب، وهكذا يتمكّن الشيطان المؤكّل من قبل الساحر من الدخول إلى كل من الزوج والزوجة ليبدأ عمله في التفريق بينهما.

فإن عرضت عليك حالة من تلك الحالات، فعليك علاجها بالطريقة الآتية:
أولاً وقبل أن تبدأ عليك تهيئة الجو الإيماني الصحيح، ولذلك يجب أن تقوم
بإخراج أي صور داخل المنزل الذي يوجد فيه من أصيبَ بسحر التفريق، وذلك لأن
الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور، وما إن تنزل الصور حتى تدخل الملائكة البيت، فتتضايق
الشياطين ويسهل طردها من البيت ومن داخل الشخص الذي رُبط بالسحر.

ثم عليك أن تتأكد أن المريض المربوط بسحر التفريق لا يحمل أي تماثم أو
أحجبة، وإن كان معه شيء من ذلك فعليك حرقه بالنار فوراً.

وبعد ذلك، يجب أن يكون البيت الذي به مصاب بسحر الربط خالياً من أي
مخالفة شرعية، مثل أن يلبسَ الرجل الذهب، أو أنت تكون المرأة سافرةً متبرجة،
وهنا عليك أن تأمرهم بأن يقلعوا عن فعلهم هذا.

ولكي تطرد الشياطين وتدخل الملائكة، يجب أن تحرص على ألا يكون هناك
أصوات للموسيقى والغناء والطبل والزر، فهذه الأمور كلها يجب أن يقلع عنها
أهل بيت المريض.

وعليك أن تجلس مع أهل المريض وتقوم بإعطائهم درساً في العقيدة الإسلامية
لتثبت قلوبهم على الإيمان بالله وحده عز وجل، وتنزع منها أي تعلق بغير الله.
فالله عز وجل هو الشافي والمعافي، وما أنت سوى سبب من الأسباب، وإياك يا ولدي
أن تجعل أحداً ما يتعلق بك، فهذا غير جائز، فالتعلق لا يكون إلا بالله وحده.

وبعد أن تنهي درسك وموعظتك لهم، وبعد أن تتأكد من أن كل ما ذكرته لك سابقاً
قد تم، ابتدئ بتوجيه الأسئلة للشخص المراد علاجه... وتبدوها بالسؤال الآتي:

هل تشعر بالضيق بمجرد دخولك إلى البيت؟

فإن أجابك بنعم، أسأله: وهل ترتاح أكثر ويهدأ بالك عندما تغادر المنزل وتكون خارجه؟

فإن أجابك بنعم، فقل له: هل ترى زوجتك أو أمك أو أخاك أو أباك بمنظر غير مستحب وبشكل قبيح؟.

فإذا قال لك بأنه يرى أحد هؤلاء دون غيره في منظر غير مستحب، وقد كان قبل إصابته بسحر التفريق ينظر إليه على أنه حسن المظهر والشكل.. فهنا تعلم أنه مصاب بذلك السحر.

ولكي تبدأ بالخطوات العملية للعلاج، عليك أولاً أن تطلب منه أن يقوم لكي يتوضأ، وبعد الوضوء تضع يدك فوق رأس المريض وتبدأ بقراءة الرقية الشرعية، ولا تبعد يدك عن رأسه البتة أثناء قيامك بالقراءة.

وما إن يُصرخ المريض بيد الجان الذي بداخله، حتى يبدأ الجان الكلام والحديث على لسان المريض. وهنا أكد عليّ جدي أن أتعامل مع الجان حسب ديانته، فإذا كان جانا غير مسلم، فيجب عليّ أن أعرض عليه الإسلام، وإن كان مسلماً فيجب أن أوضح له وأبين له أن ما يفعله مخالف للدين الإسلامي، وأن مجرد إطاعته للساحر هي مخالفة غير جائزة، وأنه يجب عليه أن يخرج من جسد المريض أولاً، وألا يعود للعمل مع الساحر ثانية، وإن خاف من شياطين الساحر فإن عليه التوجه إلى مكة المكرمة، فهناك مكان له ولسائر الجان التائبين. لقد شدّد عليّ جدي أن أكون صبوراً طويلاً البال في حديثي مع الجان، وأن أقنع الجان بالحسن، وإن لم يرتدع أو تهادى فعليّ حرقه بالآيات القرآنية عبر قراءتها عليه وتكرارها، وقراءتها على الماء الطاهر وجعل المريض يشرب من ذلك الماء، أما إذا استجاب لك الجني، وأبدى استعداده لتترك المريض والتوبة، فعليك سؤال الجني عن مكان السحر، وعن كيفية دخول الجن إلى المسحور.

وأكد على الأصدق الجنى أبدأ، فإن قال لك إن السحر والعمل قد وضعاً في مكان ما، فقم بإرسال أحد الأشخاص للتأكد وإحضار السحر من ذلك المكان، أما أنت فلا تبتعد عن المريض ولا تتركه أبداً طوال فترة العلاج هذه، فالجنى يا ولدي كاذبون مراوغون.

فإن كان هناك جنى آخر فاطلب من الجنى الذي يحدثك أن يناديه ليحضر إليك، إن أتى إليك تحدث بصوت مختلف عن صوت الجنى الأول، ومن خلال لسان المريض نفسه، عليك بفعل ما فعلته مع الجنى الأول تماماً.

فإن وجدت العمل (السحر) في المكان الذي قاله لك الجنى، فعليك أن تحضر ماءً وتقرأ عليه الرقية الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة.

وهنا يا ولدي عليك أن تقرأ المزيد من الآيات إذا وجدت أن الجنى من النوع المراوغ والكاذب، وهذه الآيات والسور هي اجتهاد من بعض علماء المسلمين الذين سبقونا بالعلاج بالقرآن الكريم. وقد ثبت بالتجربة أنها نافعة في طرد الجن.

وما إن تنتهي من قراءة تلك لتلك الآيات، حتى تضع داخل الماء أوراق العمل أو التميمة أو الحجاب التي أحضرت إليك، وتذيب ما بها من حبر وكلام في الماء، ثم تطلب من أحد أقارب المريض أن يسكب الماء في مكان بعيد عن طريق الناس. وهكذا تضمن بإذن الله أن يكون العمل قد فك، وأن الجنى قد غادر من غير رجعة... وللتأكد والحرص والزيادة، اطلب من المريض أن يغتسل بالماء المقروء عليه لعدة أيام، وهكذا وبإذن الله وحده لا شريك له تكون قد عالجت المريض أولاً ثم حصنته ثانياً.

واعلم يا ولدي، أن الجن قد يقعون الفتنة أحياناً بين من هم في الغرفة عند معالجة المريض، بحيث يقول الجن أن فلاناً هو من ذهب إلى الساحر لكي يصنع له عملاً ليسحربه المريض، وغالباً ما يكون الجن كاذباً، فهو يقول هذه الكلمات لكي يدب الفرقة بين أهل المريض، ولكي يشغلك عن طرده من جسد المريض. وهو- أي الجن- يقول تلك الأشياء رغم أنك لم تسأله عنها أصلاً، ولم تتطرق إليها في حديثك معه.

ويجب أن تحذر من كذب الجان، وأن تطلب من المريض بعد شفائه أن يحرص على:
أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم قبل البدء بأي عمل يود القيام به، وفي
بعض الأعمال يقول: «بسم الله، فقط، حسبما ورد في السنة.
وأن يحافظ على الصلاة في جماعة، فهي أفضل له وتبعد عنه وسوسة
الشیطان الخناس.

وأن يحرص على الوضوء قبل النوم.
وأن يبتعد عن سماع الأغاني الفاحشة بشكل نهائي.
وعليك تحفيظ المريض أذكار الصباح والمساء، لكي يواظب على ذكرها والمحافظة
عليها، وتزيد على ذلك بأن تجعل المريض المعالج يحرص على قراءة سور من كتاب
الله أو أن يستمع لتلك السطور عبر التسجيل إن كان لا يجيد القراءة.
يلزم أن تطلب من المعالج أن يحرص على ذكر هذه الكلمات يومياً بعد صلاة
الضجر مئة مرة، وهي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير».

بذا أكون قد أتممت عليك أهم ما يتعلق بسحر التفريق، ولكن لا تتكل إلى ما
قلته لك وحده، بل اعمل على الاستزادة، وتعلم المزيد بالاجتهاد والمثابرة على قراءة
الكتب ذات المصادر الموثوقة التي تتناول هذا الموضوع وغيره من مواضيع فكّ السحر.
وأوصاني بشدة: ولا تنسَ يا ولدي أن قرآن ربك وحده هو الحصن الحصين
ولا شيء سواه، الفرقان هو سلاحك ودرعك في مواجهة أسحر شياطين إبليس،
عليهم لعنة الله عز وجل.

وأطلب منك أن تتعاون مع إخوتك من علماء المسجد الأقصى، لكي تبينوا للناس في القدس خاصة وفي كافة بقاع الأرض عامة، خطر السحر وضرره، بل الأهم أن تجتهد في تعليم الأئمة العلاج الشرعي للسحر، لكي لا يذهب الناس إلى السحرة الفجرة ليبطلوا لهم سحر الآخرين، أو ليعالجوهم من أمراضهم التي تلتبس عليهم فيظنّوها سحراً. انشر علمك وعلمه لكل مؤمن صادق حافظ لكتاب الله عز وجل، ولا تبخل على أحد بهذا العلم.

وفي أحد أيام ذلك الرمضان المبارك، طلب مني جدي أن أذهب وحدي لزيارة صديق لي، ذلك الصديق اشتكى منه والده أنه منذ أن تزوج قبل عدة شهور لم يعد يعمل في متجر والده مثل السابق، بل إنه ما يكاد يحضر إلى المتجر صباحاً حتى يتذرع بأي حجة لكي يعود إلى البيت مرة أخرى، ليمضي اليوم بأكمله عند زوجته لا يقابل أحداً ولا يزور أحداً. وقد ذكر والد هذا الشاب لجدي أن أحواله قلبت رأساً على عقب، وما عادت تُحتمل.

توجهت إلى بيت صديقي ذاك، واسمه «فايز»، وكان جالساً في البيت ولم يذهب إلى العمل مع والده في ذلك اليوم رَحَب بي صديقي وما هي إلا دقائق حتى أصبح يترك الغرفة ويفيب، ثم يعود، وظل يكرر تلك الحالة من جلوس معي ثم غياب إلى حيث لم أكن أعلم طوال الوقت.

فقلت له: أريد أن أراك خارج المنزل وأتحدث معك. اصطحبته معي إلى الصلاة، وبعد أن أنهينا الصلاة، أراد أن يعود مسرعاً إلى بيته، فقلت له: اسمع يا صديقي فايز، أنت مسحور وسحرك يسمى سحر المحبة.

- لا لست مسحوراً ولا مريضاً وإنما أنا لا أصبر على بعد زوجتي عني، ولا فراقها أبداً.
- قصّ علي قصتك لأجد لك حلاً لها، بإذن بالله رب العالمين..

تردّد في البداية وحاول تركي والعودة إلى بيته، ولكنني أصررت عليه كثيراً، وشددت يدي على رأسه وقرات قليلاً من آيات القرآن، ونحن جالسان في فناء المسجد الأقصى، فهذا قليلاً ثم بدأ يحكي لي قصته...

والله يا أخي خالدًا إنني ومنذ أن تزوجت، ما عدت قادراً على مغادرة بيتي، وأصبحت أهمل عملي وورقي، حتى إنني ما عدت قادراً على مفارقة المكان الذي توجد به زوجتي، فإذا دخلت المطبخ دخلت خلفها، وإن اتجهت إلى زيارة أحد ما مثل زيارتها لأهلها بقيت بجوارها لا أفارقها أبداً، حتى عندما أصلي أسرح في التفكير ويذهب فكري إليها، وإذا ما جاءني ضيوف فإنني أتركهم لكي أبقى عند زوجتي، وأصبحت أقوم بأعمال المنزل بدلاً عنها، فأنا يا خالد أقوم بالكنس والتنظيف لمجرد البقاء حولها ومعها. وإذا ما طلبت مني أي شيء مهما كان حقيراً أو تافهاً فإنني أقوم بفعله على الفور، حتى ولو كان ذلك في وقت متأخر من الليل... فلقد طلبت قبل عدة أيام أن أشتري لها لوزاً، فقمت من فراشي في الليل، وبقيت أبحث عن دكان يبيع اللوز حتى وجدت واحداً خارج أسوار القدس، فاشتريت منه اللوز وعدت إلى بيتي مسرعاً، وكانت نائمة فلم أستطع إيقاظها، وبقيت مستيقظاً حتى الصباح، وعندما استيقظت هي، أعطيتها اللوز الذي طلبته مني، فما كان منها إلا أن وضعته جانباً!

في تلك الأثناء حاول فايز أن يقوم ويغادر، فوضعت يدي على رأسه وقرأت عليه بعض الآيات فهداً وجلس، وبعد ذلك ذهبت أنا وهو إلى منزلي، وهناك قرأت عليه ورداً قرآنياً كاملاً، ثم قرأت ذلك الورد على عدة قناني من الماء العذب، وطلبت منه أن يغتسل كل يوم بإحدى تلك القناني لمدة شهر كامل، وقلت له ألا يقص على زوجته ما حدث بيننا، ولقد فعل فايز ما طلبته منه، وبعد نحو أسبوع أصبح يذهب إلى محل والده للعمل معه مثل السابق، وما إن انقضى شهر حتى عاد فايز أفضل من السابق وأصبح شخصاً عادياً بحمد الله.

١- مختار الصحاح: القَيْئَةُ بالكسر والتشديد ما يجعل فيه الشراب والجمع قَنَائِيٌّ

لم يكن هناك جني أو جنية في داخل جسد فايز، وإنما كان هناك سحر اسمه «سحر المحبة»، وضع بداخل ماء فشربه فايز، والله أعلم وأعلى.

عندما عاد فايز لسابق عهده، طلبت من زوجتي أن تحضر لي زوجة فايز، فأحضرتها هي وأمها معاً فقلت لهما الاثنتين: اعلما أنني فككت سحر ساحركما الملعون بقرآن ربِّي الجبار، واعلما أنني سأفصح أمركما إن لم تخبراني عن من صنع لكما السحر، وكيف؟ فاعترفت أم زوجة فايز أنها ذهبت إلى الساحر حاييم بن يعقوب لعنه الله، وهو من صنع لها السحر الذي وضعته في كأس من الماء وقدمته لزوج ابنتها لكي يشربه.

نهيت المرأة عن فعل ذلك مرة أخرى، وعن التوجه إلى أي ساحر مهما كان السبب، وطلبت منها أن تستغفر الله عزوجل، وأن تتقرب من الله حتى لا تحسب من الضالين الظالمين. أما ابنتها فقلت لها: إن زوجها فايز يحبها، وأنه إن علم بما فعلته معه سوف يتركها ويطلقها، فوعدتني وأقسمت بالله العظيم وهي تضع يدها على القرآن الكريم ألا تعود إلى مثل ذلك الفعل ثانية، ولقد فعلت أمها أيضاً مثل ما فعلت زوجة فايز، فأقسمت على القرآن الكريم واستغفرت ربها.

بقيت زوجتي جالسة وتشاهد بصمت ما كنت أقوم بفعله، فطلبت منها أن تقسم هي الأخرى على كتاب الله ألا تفضي هذا السر لأحد مهما كان... وهنا وجب علي القول أن صديقي لم يكن اسمه «فايز»، وأن اسم فايز هو كناية للتوضيح لا أكثر ولا أقل، فأنا أيضاً بعد أن أقسمت زوجتي والحماة والزوجة، أقسمت أيضاً وعاهدت الله ألا أكشف ذلك السر.

حاييم شيطان من ظهر شيطان

في ذلك اليوم، وبعد أن خرجت الأمراتان من منزلي، أدركت أن هناك شيطاناً جديداً قد انضم إلى قافلة الشياطين، لقد أصبح حاييم ذلك الطفل الذي عرفته منذ أعوام طويلة شيطاناً ساحراً فاجراً، تماماً مثل أبيه يعقوب عليه لعنة الله عز وجل، وهنا أصبحت أشعر بالخطورة من كون حاييم خطير السحر نسبياً، ما يجعله يقوم بأسحار وأعمال شيطانية خطيرة بغية إثبات مكانته أمام السحرة الفجرة الذين كانوا يمارسون نفس مهنته.

ولقد شعرت أن القادم أصعب من السابق، وأن معركة الخير والشر هي معركة أزلية، وكما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿الْحَيِثُوتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُورُ لِلْحَيْثِيَّتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ﴿﴾. فيها نحن اليوم نرى ذلك الشيطان يعقوب ينجب ابناً شيطاناً ويعلمه أصول الشعوذة والسحر، لكي يعيث بالمدينة المقدسة فساداً وخراباً، كما عاث بها من قبل آباؤه وأجداده.

أمضيت باقي يومي وأنا أقرأ القرآن الكريم محاولاً تهدئة نفسي، وتعزيز قدرتي على تذكر الآيات المناسبة لعلاج الأسحار بشكل قوي، فرغم كوني أحفظ القرآن الكريم كاملاً، إلا أن انتقاء آية من بين آيات وسور القرآن بشكل تلقائي هو عمل يحتاج إلى جهدٍ وقوةٍ في التذكر والتركيز، فظلمت أردت تلك الآيات حتى شعرت أن الله عز وجل قد مكّني منها بشكل كامل.. فحسنت أمري على التصدي للشيطان الجديد ابن الشيطان القديم.

كنت أكثر من مناجاة الله عز وجل، طالباً منه أن يشدّ أزرِي ويقوّي عزيمتي، فكنت أقول: بسم الله، آمنت بالله، واستعنت بالله، واستعيت بالله، واستجرت بالله، وأنبّت إلى الله، وتوكلت على الله، واستدفعت البلاء والوباء عني بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكنت أزيد بالقول مما تعلمته من كتب الصالحين وعلماء الدين، فأقول:
«بسم الله قديم السلطان، بسم الله عظيم الشأن، بسم الله الذي كل يوم هو في
شأن، بسم الله شديد البرهان، بسم الله قوي الأركان، بسم الله ما شاء الله كان،
وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وكنت أحصن نفسي دائماً وأقول: «تحصّنت بالله الواحد الأحد، أعوذ بالله
الفرد الصمد، تحصّنت بالله الذي لم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

وعندما كنت أشعر أن الشياطين أصبحت قويةً وشديدة، كنت أقول: «بسم
الله، أعوذ بعزة الله وعظمته وقدرته وسلطانه وجبروته من شر ما أجد وأحاذر».
ولذلك كلما اشتد كفر الساحر بالله عز وجل، كان واجباً عليّ أن أتمسك
بقوة بالقرآن الكريم وبالأدعية النبوية الشريفة، كي أتمكن من التصدي لسحر
السحرة الفجرة وشياطينهم الظلمة الفسقة.

أما المعوذتان، فلقد كنت أكثر من قراءتهما، وخاصة أن الله عز وجل قد أنزل
تلكما السورتين على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن صنع له اليهود
سحراً، أرادوا من خلاله قتل النبي عليه سلام الله، ولم يتمكنوا من قتله بسحرهم
بل كان مرضاً من الأمراض عارضا شفاه الله منه، فأنزل الله عز وجل عليه تلكما
السورتين، فرددهما حتى زال عنه سحر اليهود عليهم لعنة الله عز وجل.

ولذلك، فالمعوذتان من أهم ما كنت أقرؤه على من أقوم بعلاجهم من مس الشياطين
لهم، ومن عمل الأسحار ضدهم، فالمعوذتان سلاح ما بعده سلاح، وإن زدت عليهما آية
الكرسي تكون بإذن الله أقوى وأثبت في التصدي للسحرة وسحرهم الملعون.

متحصناً بكل ذلك، ومتوكلاً على الله عز وجل، قررت أن يكون عملي دفعاً

لسحر هؤلاء المشعوذين. وهكذا بدأت مشوار القصاص من شياطين الهيكل المزعوم. ولأنني من سكان بيت المقدس، كنت أجيد اللغة العبرية إجابة كاملة ومتقنة، بحيث يصعب على من لا يعرفني إدراك أنني عربي مسلم مقدسي. ولله نذرت نفسي ووهبت روحي، وعليه توكلت وبدأت بالتسلل إلى تلك الأنفاق التي كان اليهود قد حضروا منها الكثير تحت بيت المقدس.

ارتديت ملابس مثل تلك التي يرتديها اليهود، وبدأت في لحاقهم إلى أعماق تلك الأنفاق.. في بعض الأنفاق التي كانت سهلة الدخول على الزائرين، لم أشاهد شيئاً غريباً على الإطلاق سوى أصوات وهردقات ليس إلا... أما في الأنفاق التي كانت صعبة الدخول، فقد كنت أشاهد عدداً من أولئك الذين كنت أعرفهم من أتباع الشياطين، أمثال شاؤول ويعقوب وابنه حاييم، ويهودا وشموئيل وغيرهم، كان كل واحد منهم يركن بزواية لأحد الأنفاق وكأنه داخل مغارة أو جحر.

يمضون هناك عدة أيام، ويعودون إلى بيوتهم لعدة أيام أخرى، في تلك المغارات والجحور. كانوا يذبحون بعض الدواجن والطيور، ويلقونها في ركن من تلك الأركان، كانت المراقبة صعبة جداً ولكنهم لم يكونوا يتوقعون أن يتمكن أحد غيرهم من الدخول إلى تلك الأنفاق والغيران.. انتهزت أول فرصة لاحت لي وقمت بخنق شاؤول حتى خرجت منه روحه، فكفّت شياطينه عن أذية المسلمين. ظنّوا أنه مات موتاً طبيعياً، فدفنوه، وكان شيئاً لم يكن. ولقد حل محله ساحر آخر اسمه موسى فلم أمهله فترة طويلة حتى تمكنت من الوصول إليه وخنقه في نفس المكان الذي خنقت فيه شاؤول.

انارهم ذلك، لكن اولاد اولئك السحرة رفضوا تدخّل الشرطة ورفضوا ان تشرّح جثثهم- حتى ذلك الحين-، فدفنوا شاؤول وموشى دون ان يفتح اي تحقيق شرطي... لكن السحرة اليهود قرّروا ان يعرفوا السبب فبدؤوا يستشيرون ملوك الجان، الذين كانوا يخدمونهم من خلال شياطينهم المسخرين لتلك الأمور.

وهنا يجدر ان اقول ان الجن والشياطين لعنة الله عليهم لا يعلمون الغيب البتّة.. بدليل انه عندما مات سيدنا سليمان بن داود عليه السلام لم تتمكن كل الشياطين والجن التي كانت تحيط بالمكان من معرفة ان سيدنا سليمان عليه السلام قد مات.

كما جاء في قول الله عز وجل.. بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغِهِ فَلَمَّا خَرَ تَتَنَبَّ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِئُوا فِي الْمَذَابِ الْغَيْبِ ﴾ (سورة سبأ، الآية ١٤) ولأني موثق ان الشياطين والجن لا يعلمون الغيب البتة فلقد كنت مطمئناً.

اكملت مطاردتي لأولئك السحرة الأشرار، وكنت اتسلل إلى تلك الأنفاق لكي اجمع اللحوم التي تعود للحيوانات التي ذبحت باسم الشيطان الرجيم، وليس باسم الله الواحد الأحد. تلك اللحوم التي كانت طعام أولئك الشياطين، كنت اجمعها من أماكن إلقائها وأقوم بحفر حفرة على حسب حجم تلك اللحوم، ثم أقوم بصب ماء في داخل تلك الحفرة، وأقرأ عليها سوراً وآيات من القرآن الكريم، ما إن يختفي الماء بجوف الحفرة، أضع اللحوم الحرام وأصب عليها الماء الجديد، وأعاود قراءة الآيات القرآنية ثم أغلق الحفرة بالتراب، وهكذا أكون قد دفنت تلك الذبائح الشيطانية حتى لا يتمكن الجان والشياطين من أكلها... فهي مخصصة للجان والشياطين الكافرة الفاجرة وليس للجان المسلم الصالح.

هذه الأعمال أثارت الجنّ ساكني تلك الأنفاق عليّ، فأصبحت هي الأخرى تحاول الوصول إليّ لأذيتي، من جهة يعقوب وابنه حاييم، ومن جهة جن القرابين.. لقد لاحظت أن كل تلك اللحوم الحيوانية تعود إما لطيور أو دجاج أو حمام أو ماعز، وكانت كلها ذات لون أسود قاتم.

وعندما لم أكن أتمكن من دخول الأنفاق أسفل بيت المقدس، كنت أذهب للبحث عن تلك الذبائح الشيطانية في الخرابات أو داخل الآبار والأماكن المهجورة، فقلد كنت أدخل إلى تلك الآبار خاصةً إذا شممت رائحة الجيفة داخلها، ولأنني كنت من سكان القدس أباً عن جد، فقد كنت أعلم أغلب تلك الأماكن سواء في داخل بيت المقدس، أو حوله في الجبال المجاورة- مستعيذاً باللهمز وجل- أدخل الآبار والأماكن المهجورة وأخرج منها تلك الجيف وأقوم بدفنها.. تلك الجيف التي ما إن تدفن حتى يرفض الجنّ إطاعة الساحر، ويتوقف عن تلبية مطالبه.

وهذا هو الاتفاق المسبق بين الساحر والشيطان، حيث إن الساحر ينفذ الشق الأول وهو ذبح الحيوان على اسم الشيطان، ويضعه في المكان الذي يرغب به الشيطان، وبعد ذلك يقوم الشيطان بأمر الجان بعد أن يقرأ الساحر عزيمته^٢ وطلاسمه بتنفيذ ما يريده الساحر.. فإذا ذهب الشيطان ولم يجد الذبيحة في مكانها، فإنه يغضب على الساحر ويعصي أمره.

معادلةٌ صعبةٌ مركبة، فإن تمكنت من طرد الجان قبل أن أدخل إلى مكان وضع الذبيحة، فهو أفضل لي، وإن لم أتمكن بسبب كثرتهم أحياناً، يحاولون أذيتي أثناء دفني للذبيحة بعيداً عنهم.

٢- بعض التوضيح.

مع مرور الأيام، بدأ الجان يطلب من الشياطين المالكة أن يجعلوا الساحر يضع الذبائح في أماكن بعيدة جداً، وخارج المدينة المقدسة في مداخل مدن مجاورة، أو حتى في صحارى بعيدة مثل صحراء النقب.. حدث ذلك عندما تبعْتُ أحد السحرة، بعد أن رأيته يخرج ليلاً من منزله ويتوجه من الزقاق إلى الشارع، حيث كانت سيارته، تبعته طوال ساعات، ولكنه تمكّن من الفرار مني بعد دخوله إلى صحراء النقب.

كل ما كنت أسعى إليه من خلال ذلك الفعل، هو أن أسبق أولئك السحرة الفجرة بخطوة واحدة، لكي أعطّل أسحارهم وشرورهم قبل أن تصيب أبناء بيت المقدس، رغم أن أولئك السحرة كانوا يقومون بتنفيذ أعمال السحر للناس خارج المدينة المقدسة، وخاصة أن أولئك السحرة هم سحرة معروفون ومشهورون، يأتي إليهم طالبو السحر في بيوتهم في مدينة القدس من كل أنحاء فلسطين ومن خارجها أيضاً. وغالباً ما يكون طالبو السحر من اليهود الراغبين بإفساد حياة من يجاورهم أو ينافسهم في التجارة.

في تلك الفترة، ظهرت في القدس مشعوذة جديدة اسمها «راحيل»، كانت هذه المشعوذة كبيرة جداً في العمر، ولقد أبلغني عنها أحد باعة الكتب، حيث قال لي: إن هناك نساءً غير مسلمات يقمن بشراء مصاحف، وعادة ما يشتري مصنفين صغيرين معاً، وقد تكرر ذلك عدة مرات مع صديقي صاحب المكتبة، الذي ساوره الشك وهو يراقب أولئك النساء اللاتي يشتري منه المصاحف، وقد وجد أن هؤلاء النسوة كن يشتري أموراً أخرى من السوق، مثل جلود خراف وفرائها، ثم يتوجّهن إلى منزل تلك المشعوذة راحيل، وما إن تأكد من ذلك حتى أخبرني بتفاصيل ما حدث.

كنت أعلم أن السحرة يستعملون طريقةً لتدنيس المصحف القرآني للتقرب من الشياطين، ولكني كنت مستغرباً جداً من عدد تلك المصاحف الكثيرة التي تشتري، ويدخل حاملوها إلى منزل تلك المشعوذة «راحيل».

زوجتي معلمة للتربية الإسلامية في إحدى مدارس القدس، وقد درست الشريعة وأصول الدين في جامعة القدس المفتوحة، وهي ضليعة في أمور التصدي لشياطين الهيكل المزعوم، حيث كنت أعلمها كيفية فكّ تلك الأسحار بواسطة القرآن الكريم وآياته المباركة وبواسطة الأدعية النبوية الشريفة، وكانت عادةً تقوم بعمل الرقية الشرعية الإسلامية لمن تطلب ذلك من الأخوات اللواتي أصبنّ بالسحر أو حتى بالحسد.

شرحت لزوجتي تفاصيل ما حدث، واتفقت معها على أن تذهبَ إلى زيارة منزل راحييل بحجة أنها تريد صنع عمل لإحدى جاراتها... توجهتُ إلى ذلك البيت بعد أن تحصّنت بعدة تمرات بعد صلاة الفجر، وبتكرار آية الكرسي والمعوذتين، وذهبت وهي متوضئة ظاهرة.

ما إن قابلت زوجتي المشعوذة راحييل حتى قالت لها عن حاجتها، وعلى الفور قالت لها راحييل: عودي إليّ بعد يومين ومعك مصحفان صغيرا الحجم، وأحد آثار تلك الجارة، كقطعة من ملابسها أو منديلاً أو حتى بعض الشعر... أخبرتني زوجتي بما طلبت منها راحييل، فأعطيتها كتابين ومنديلاً، وقلت لها أن تذهب إلى راحييل المشعوذة في اليوم المحدد.

ذهبت زوجتي مصطحبةً تلك الأشياء، والتقت براحييل، وطلبت منها راحييل المنديل فأخذته ووضعتَه جانباً، ثم طلبت من زوجتي أن تدخل إلى حمام من ذلك النوع الذي كان يستعمل في الماضي، وهو النوع الذي يجلس الشخص فيه جلسة القرفصاء إذا ما أراد قضاء حاجته، وقبل أن تدخل زوجتي إلى الحمام قالت لها راحييل أن عليها أن تبدأ بتمزيق صفحات الكتابين وتلقي بهما في جوف الحمام، وبعد ذلك تقضي حاجتها في الحمام، ثم تعود إلى منزلها، وفعلاً فعلت زوجتي تماماً ما طلبته منها تلك المشعوذة راحييل، مزّقت الكتابين وألقت بهما داخل جوف الحمام، ولكنها لم تقض حاجتها بذلك الحمام، وإنما غادرت منزل راحييل.

بعد ذلك لم تطلب راحيل المشعوذة من زوجتي أي مال، ولم تطلب أيضاً طيراً لكي تذبحه، كل ما كان يهمها هو أن تدنس المصحف الشريف بغيةً منها في التقرب من الشيطان الرجيم. حتى أنها لم تسأل زوجتي عن اسمها أو من تكون، إنما سألت عن اسم جارة زوجتي المفترضة، واسم أمها أيضاً، ووعدت زوجتي أنه بعد إتمامها لتمزيق الكتابين، وعودتها إلى بيتها بآن البلاء سيحلّ على بيت تلك الجارة المفترضة، وهذا ما لم يحدث.

فلم تكن هناك جارة أصلاً تريد زوجتي إيذاءها، وإنما كنت أنا وبمساعدة زوجتي وصديقي صاحب المكتبة نريد إيقاع البلاء في بيت تلك المشعوذة راحيل.. تلك الكتب التي اصطحبتها زوجتي معها لم تكن مصاحف قرآن كريم على الإطلاق، وإنما كانت كتباً أعدها صديقي صاحب المكتبة من أوراق بيضاء طبع عليها العبارة الآتية بشكل متكرر، وفي كل الصفحات في كلا الكتابين، وهي: «إلى جهنم ويئس المصير يا أيتها المشعوذة الفاجرة راحيل، أنتِ ومن معكِ من جن وشياطين وفوقهم إبليس اللعين».

طبعت تلك الجملة مراراً وتكراراً، ولم تكتب أيّ كلمة تخص الله عز وجل، وما جاء في كتابه المبارك الطاهر... صديقي أعد الكتابين، وأنا قمتُ بسكب ماء الورد على الكتابين، ذلك الماء الذي تعوذتُ عليه من إبليس وذريته.

فعلت كل ذلك بعد أن استشرت جدي، فقال لي: إنه كان طوال حياته يسمع عن تقرب السحرة إلى الشياطين عبر تدنيس المصحف، ولكنه لم يكن يعلم كيف يواجه عملية التدنيس تلك، وخاصة أن هذه الساحرة راحيل تطلب من الذين يريدون عمل سحر لديها بأن يقوموا هم بتدنيس المصحف الشريف، وليس هي بنفسها، كما كان يحدث في مثل تلك الحالات.

لكن جدي وبعد جهد جهيد وطول تفكير، قال لي: اعمل تماماً كما فعلت بتلك اللحوم التي دفتتها وصببت عليها الماء بعد قراءة القرآن عليه، لكن هذه المرة لا تقرأ القرآن على الماء بل تعوذ من الشيطان عليه فقط.. لم أكن أدري إن كانت هناك نتيجة لعملي هذا، ولكن ما حدث في صباح اليوم التالي لا أظن أنه كان مصادفةً على الإطلاق. ففي صباح ذلك اليوم، استيقظ الجميع إلا تلك المشعوذة راحيل، فلقد ماتت... هكذا وبكل بساطة ماتت، هل ماتت لأن عمرها قد انتهى بأمر الله عز وجل، أم أنها ماتت- بإذن الله- لأن الجان قد غضبوا عليها وعاقبوها، فقاموا بقتلها بإحدى الطرق التي عرفت عنهم؟ أنا لم أعلم، ولا أظن أنني حتى هذا اليوم قادرٌ على تحديد سبب موتها، ولكنني أعتقد أن ما حدث لم يكن بمحض الصدفة أبداً.

فمن عادة الجان أن تؤذي من أذاها، وأخشى أن الجان قد حدث معه ما يحدث مع الجنى الذي أصاب شاباً قبل عدة سنوات، فلقد استيقظ هذا الشاب فاقداً لحاسة السمع... أي أصبح أصماً لا يسمع، رغم أنه كان شاباً طبيعياً طوال حياته. وعندما كشف عليه الأطباء الاختصاصيون، وجدوا أنه لا يشكو من أي مرضٍ عضوي، ولم يتمكنوا من معرفة سبب فقدانه لحاسة السمع بهذا الشكل المفاجئ.

رأيت الشاب بعد أن أحضره أحد أخوته لمحل العطار الذي كنت أعمل به مع والدي وجدّي، وسأل جدي إن كان هناك علاج لمثل هذه الحالة، أو إن كان جدي قد رأى مثل تلك الحالة من قبل.. أجابه جدي بأنه سبق ورأى مثل تلك الحالة عقود.

وعندها طلب مني جدي أن أقرأ الرقية الشرعية على القليل من ماء الورد، ثم أصب عدة قطرات في أذني ذلك الشاب، وهكذا فعلت بعد أن طلبت منه أن يتوضأ أولاً، وبعد أن قرأت الرقية الشرعية وأنا أضع يدي فوق رأسه، وما أن صببت ماء الورد في أذنيه الاثنتين حتى صرع الشاب ووقع أرضاً، وبدأ الجنى الذي بداخله يتحدث.

كان جنياً مسلماً ولم يسأطه أي ساحر، وإنما هو وحده قرر أذية ذلك الشاب، فسألته عن السبب.. فقال لي: إن هذا الشاب صب ماءً ساخناً في جوف حمام المنزل، ولذلك قررت أذيته.. فلقد أذاني بذلك الماء الساخن، وأفسد علي بيتي الذي كنت أقيم به داخل جوف الحمام.

فقلت للجان المسلم أنه من الحرام على مسلم أذية مسلم أو حتى أذية أي أحد مهما كان، وأن الشاب لم يكن يقصد أذيتك عندما صب ذلك الماء، وبما أنك مسلم وجني مسالم، لماذا سكنت أصلاً في جوف حمام منزل ذلك الشاب؟

- أنا مسلم ولكني عاص.
- تب إلى الله، فالله عز وجل عفو غفور.
- استغفر ربي لعل الله يغفر ذنبي.
- سادعو لك لعل الله العزيز الغفور يغفر لك، والآن اترك الشاب واخرج من أذنه
- لكنني هنا مرتاح.
- اذهب إلى مكة المكرمة لتترتاح أكثر.
- لا أريد.
- حسناً سأطردك بالقوة رغماً عنك، سأقرأ عدة سور وآيات قرآنية وعدة رقى شرعية على ماء الورد، وأجعله ساخناً وأصبه في أذن الشاب، وهكذا سأحرقك بأمر الله عز وجل.
- ستحرق أذن الشاب إذا أردت إحراقي.
- فلتحرق الأذن، المهم عندي أن تخرج أنت...
- طال الجدل بيني وبين الجنّي، لكنه خرج بأمر الله بعد أن أدرك أنه لا مناص أمامه من الخروج.

ولذلك، أخشى أن ماء الورد الذي صببته على ورق الكتابين بعد أن تعوّذت به من الشيطان، وألقته زوجتي في جوف الحمام عند المشعوذة راحيل، هو سبب غضب الجان عليها، وقتلهم لها، والعلم عند الله عز وجل.

وكر من أوكار إبليس

إن أراد الإنسان المؤمن بالله عزوجل اختبار شجاعته، عليه بدء ذلك الاختبار بمواجهة الشيطان، بالأ يطيعه في المعاصي، ولا يستسلم له، فيخالف أمر الله، فالنفس البشرية ضعيفة أمام إغراء الشيطان وفتنته... لذلك قررت أن أختبر نفسي عبر مواجهتي للشيطان بشكل مباشر، فاقتمت عليه وكره.

ذلك الوكر، كان عبارة عن منزل مجاور لبيت حايم وأبيه يعقوب لعنة الله عليهما وعلى سحرهما الشيطاني... وكان المنزل يعود لأحد أبناء القدس المحتلة، لكنه اضطر إلى تركه قبل أعوام طويلة بسبب أذية الجان له ولأهل بيته، ذلك الجان الذي سلطه عليه يعقوب الشيطان، فأصبحوا لا يهنؤون بتناول طعامهم، فما إن تضع ربة البيت الطعام الذي أعدته على الطاولة ليأكله أولادها وزوجها، حتى يبدأ الدود بالخروج من ذلك الطعام، الدود يخرج وهم ينظرون مذعورين. ومع تكرار تلك الأحداث، قرر صاحب المنزل تركه، والانتقال إلى منزل آخر خارج مدينة القدس، وذلك لقلة المنازل الفارغة في المدينة المقدسة.

ما إن علمت بهذه القصة التي حدثت منذ أعوام طويلة، حتى كان البيت قد أصبح أشبه بالخرابة المهجورة، ولقد علمت بذلك عندما كنت أتتبع أماكن إلقاء الذبائح والقرايين الشيطانية التي يلقيها السحرة الفجرة في ذلك البيت المهجور الذي تحوّل إلى خرابة.

وعندما سألت عن صاحب المنزل ولمن يعود، قيلت لي قصة المنزل وأهله، ورغم أنني كنت أعرف كل سكان أزقة المدينة المقدسة، إلا أنني لم أكن أعرف سكان هذا المنزل، فقد تركوه قبل أن أولد أصلاً، ولم يعودوا إليه خوفاً وخشية من الجان.

عرفت من هم أصحاب المنزل، فتوجهت لزيارتهم في إحدى المدن المجاورة لمدينة القدس الشريف، وجدتهم قد بنوا هناك بيتاً كبيراً متعدد الطوابق والشقق، وأن أبناء صاحب البيت المسكون من قبل الجان، قد سكنوا في تلك الشقق بعد أن كبروا وتزوجوا... قابلت الأب والابن الأكبر وعرضت عليهما استئجار منزلهم المقدسي، فرفضاً رفضاً قاطعاً، أخبرتتهما بما آل إليه البيت، وكيف تحوّل إلى خرابة مלאى بالقاذورات، وأن جدرانه بدأت تتصدع، ومنها ما قد انهار فعلاً جراء التصدع.. إلاّ أنهما رفضاً تأجيري المنزل، رغم أنني سوف أصلحه وأعيده كما كان، لكنهما لم يقنعاً.

قلت لهما: هل سبب رفضكم لأن الجان يسكن البيت، فأنا أعلم تلك القصة.. قالوا: نعم، ولكنك لا تعلم باقي القصة كاملة.. فللقصة بقية:

لقد حاولنا تأجير البيت بعد أن تركناه، ولقد استأجره في المرة الأولى شاب وزوجته وابنتهم الصغيرة، ولكن ما هي إلا أيام مضت على سكنهم حتى اختفت الطفلة الصغيرة من فناء المنزل، ولم يعد لها وجود، ثم طارت الجن بأفعالها المتنوعة الزوجين، فتركا المنزل رغم إصرارهما على البقاء فيه لعل ابنتهما الصغيرة تعود إليه يوماً ما.. لم تعد الطفلة حتى يومنا هذا... وها هما الأبوان يسكنان في منزل جديد بجوار منزلي هذا، منذ ذلك الوقت، أي منذ نحو ثلاثين عاماً تقريباً. أما القصة الثانية، فترجع إلى أننا بعد سنوات قليلة من هذه الحادثة، قمنا بتأجير المنزل لرجل عجوز وزوجته، كان الرجل مصلياً عابداً وحاجاً لبيت الله، وكذلك كانت زوجته، إلا أنهما لم يطبلا الإقامة في البيت لأن الشياطين والجان هناك أزعجتهما، ولأنني طلبت من الرجل ترك المنزل.

وهنا يا ولدي السر- قال الأب - ... فبعد أيام من سكن ذلك الحاج وزوجته، رأيت مناماً أفرعني وأخافني، أتاني في ذلك المنام شيطان على هيئة كلب أسود، وكان الكلب يتكلم مثلما يتكلم البشر تماماً، فقال لي إن لم تجعل ذلك الحاج وزوجته يتركا منزلك في القدس، سوف تأتي نحن الجان إلى منزلك هذا لنسكن به معك ومع أطفالك.

ولذلك خفت وذهبت إلى الحاج وطلبت منه أن يترك المنزل على الفور، ففعل
الحاج ما طلبته منه، ولا اظن أنه كان بحاجة إلى إقناع مني أو إلهام، فلقد كان-
كما أخبرني- ينوي ترك البيت في نهاية الشهر، أي بعد أيام لا أكثر.

ولذلك يا أخي وولدي خالدًا.. لا أستطيع أن أؤجر لك المنزل خوفاً من
حضور الجان إلى منزلي، وخوفاً عليك.

تركت الرجل وابنه وعدت إلى جدي إبراهيم العطار، وقصصت عليه ما حدث معي
عند صاحب البيت المسكون.. فقال لي جدي: لا عجب في ذلك، فهذا الرجل الذي
اسمه سامر كان رجلاً فاسداً فاسقاً، وكان يشرب الخمر، ويقيم ليالي السهر والطرب
في منزله المقدسي، وكانت زوجته تسبح هي الأخرى في فلكه، وتفعل ما يفعل.

فهو رجلٌ علمانيّ أقرب إلى الإلحاد بالله عز وجل، ولذلك كان هذا الفاسد
مصيدةً سهلةً أمام يعقوب الشيطان وجنّه الأشرار، وعندما قال لك إنه رأى في
منامه جني على شكل كلب أسود، فهو صادق ولم يكذب عليك، فانت تعلم يا ولدي
خالدًا أن الجان يتمثلون على هيئة حيوانات كثيرة، ومنها الكلب الأسود، وحتى
تلك الكلاب السوداء التي تراها سائبةً في الجبال هي والعياذ بالله شياطين
مصورة على تلك الهيئة.. أي الكلب الأسود.

وهو صادق أيضاً إذ قال لك إن الجان هدده بأنه سيأتي للسكن في منزله الجديد
إن لم يترك الحاج منزله القديم في القدس الشريف، وذلك يعود يا ولدي لأن
الرجل سامراً لم يقلع عن عاداته السيئة في السكر وإقامة ليالي السهر والطرب
والرقص أيضاً. فلقد أخبرني عددٌ من جيرانه هناك أنهم تشاجروا معه عدة مرات
جزءاً تلك الأفعال الفاسدة. أدركت من قول جدي أنه لا فائدة من محاولة إقناع ذلك
الفاسد سامر، رغم أنني شعرت أن ولده الذي كان يجلس معنا مختلف عن أبيه.

لم تمضِ فترة طويلة من الزمن حتى مات ذلك الفاسد جراء مرض عضال أصاب كليته بسبب تعاطيه للمشروبات المسكرة، وما إن مات حتى تملص أبناؤه من خوفهم منه وقرروا التصرف في منزلهم القديم للحصول على مال الميراث. فعرضوا المنزل للبيع... فلم يتقدّم لشرائه أحد من أهالي القدس المحتلة خوفاً وخشية مما كانوا يسمعون عن ذلك المنزل المسكون بشياطين الجان.

تقدم عدد من اليهود لشرائه وعلى رأسهم حاييم بن يعقوب الشيطان، إلا أن العائلة المقدسية رفضت بيع منزلها لليهود، وهذه كانت عادة أهل القدس إذ يرفضون بيع منازلهم ومحالهم التجارية لليهود، رغم أن اليهود يدفعون أضعاف أضعاف ثمن تلك المنازل والمحال.

ذهبت لأبناء سامر محاولاً إقناعهم بتأجير المنزل لي، فرفضوا.. وعندما سألتهم عن السبب، قالوا أنهم يخشون إذا ما أجروا لي المنزل أن أتركه بسبب الجان الذي يسكن به، وعند ذلك فإنهم لن يتمكنوا بأي حال من الأحوال من بيعه، وخاصة أن قصة سكني وتركي للمنزل بسبب الجان سوف تنتشر في أحياء المدينة، وتعيد تذكير من نسي بقصة المنزل، وهكذا فإنه المنزل لن يباع مهما حاولوا.

رغم أنني لم أكن أملك من ثمن المنزل أي قرش، فأنا أعيش حياة زهد، مثل جدي ووالدي، إلا أنني قلت للورثة: أريد شراء المنزل، وسألتهم عن الثمن الذي يريدونه مقابل بيعي بيت والدهم سامر «بيت الجان». ذكروا مبلغاً لم يكن كبيراً بل هو أقل من نصف القيمة الحقيقية للمنزل رغم سوء حاله، ورغم كونه قد تحوّل إلى خرابة، فهو منزلٌ مقدسيّ قوي الأساس.

ما إن أخبروني بالثمن المطلوب حتى اتصلت هاتفياً بصديق لي، كنت قد التقيته في الحرم المكي الشريف، عندما أديت العمرة هناك، وكان قد دار بيني

وبين هذا الصديق حديث حول هذا المنزل المسكون، وكم وَدَّ وتمنَى لو أنه يستطيع القدوم إلى فلسطين، وإلى بيت المقدس لزيارة الأقصى، ومشاهدة ذلك المنزل والعمل على طرد من به من شياطين وجان. فهذا الصديق اسمه «فيصل»، وهو عالمٌ دينٍ وطالبُ علم في نفس الوقت.

وما إن ردَّ علي عبر الهاتف حتى أخبرته بكل ما حدث معي في محاولتي لاستئجار البيت الذي اضطررت إلى شرائه رغم أنني لا أملك ثمنه، وطلبت من فيصل أن يقرضني ذلك المبلغ. قال لي فيصل: سأعاود الاتصال بك بعد يومين لا أكثر بإذن الله عز وجل.. وودعته، وعدت إلى جدي فحدثته عما حصل معي، فقال لي: لا تقلق، فالبيت المسكون سيكون لك بإذن الله عز وجل، وستسكنه مع شياطين يعقوب وجان حاييم ابنه.

يا ولدي أنت مؤمن مصلٌ عابد لله، وأنت لا ترجو من وراء حصولك على ذلك المنزل سوى مرضاة الله من خلال تطهير بيت المقدس من الجن والشياطين، ولذلك أقول لك ما دمت مع الله فلا تبال، فالفرج آت بإذن رب العباد... قم يا ولدي صلِّ لله، واقرأ من قرآنه وسبح في ملكوته، ولا تقنط من رحمته أبداً.

يا ولدي إن رأيت الصحراء مألًى بالرمال على امتداد البصر، فاعلم أن خلف تلك الرمال جنازاً خضراء تسر الناظر... البيت المسكون قادم بخيره وشره، فلتستعد وكن أكثر تقرباً لله، فليس لك في هذه الدنيا من نصير سواه.

ما إن مضى يومان لا أكثر حتى اتصل بي صديقي فيصل، وقال لي: إنه استطاع خلال اليومين الماضيين جمع ضعف ذلك المبلغ الذي طلبته منه، وأخبرني أنه جمع المبلغ من بعض فاعلي الخير الذين أرادوا نصرة المسجد الأقصى، ونصرة المدينة المقدسة بما فيها من مبانٍ ومحال.

شكرته على ما فعله لأجل القدس، وقلت له: إنني لن أسكن ذلك المنزل، بل سوف أحوله إلى مكتبة عامة، وسوف أجعل الكتب في تلك المكتبة كتباً تتعلق بالإسلام ولا شيء غير الإسلام، وسوف أشتري بما سوف يتبقى من مال بعد شراء المنزل كتباً في أصول الدين والفقه الإسلامي وعلوم الحديث وتفسير القرآن الكريم.

وطلبت من صديقي فيصل أن يرسل المال على الفور، وأن يبدأ حملة جديدة هناك في بلاده لجمع ما أمكن من كتب في علوم الدين الإسلامي، حتى أضيفها إلى ما سوف أشتريه من أجل وضعها مجتمعة في ذلك البيت المسكون، بدلاً من ساكنيه القدامى من شياطين وجان.. فصاح عبر الهاتف القرآن، القرآن، القرآن لا أبالسة ولا جان... فودعته وانتظرت المال الذي وصل في اليوم التالي لتلك المكاملة الطيبة. تلك المكاملة التي جمعت بين القدس الشريف ومكة المكرمة، بين الطيب والأطيب، بين المسرى من مكة والمعراج من القدس.. بين خالد العطار الفلسطيني الذي يحاول تعلم علوم دينه والاستفادة منها في طرد الشر عن المدينة المقدسة وبيت المقدس، وبين فيصل المكي أستاذ العلم وعالم الدين ورافع لواء الحق، لواء أهل مكة المسلمين.

وجاء المال.. فقامت على الفور بشراء المنزل ودفع ثمنه، ونقل ملكيته إلى ملكية أوقاف مدينة القدس الإسلامية، وهكذا أصبح بيت الجن بيتاً لأوقاف المسلمين، لا يستطيع أحد انتزاعه من تلك الملكية، فهو وقف لوجه الله تعالى.

وتلك كانت أول خطوة، فما إن أصبح المنزل وقفاً إسلامياً بشكل قانوني رغم أنف الاحتلال، ورغم مكر شياطين القدس وأعدائهم يعقوب وولده حاييم، الذين حاولوا منع ما قامت به بكل وسائلهم القذرة من خلال رفع سعر المنزل إلى أربعة أضعاف ما دفعت، مما اضطرني لدفع ضعف ما كان قد طلب مني أول مرة، ما حرمني من شراء

الكتب التي كنت أود شراءها، إلا أنني فضلت دفع كل ما بعته لي صديقي فيصل المكي لشراء المنزل على أن أمكن يعقوب وابنه الشيطان الصغير حاييم من الحصول عليه.. لم أشتري الكتب، هذا صحيح.. ولكنني وبحمد الله تمكّنت من شراء بيت الجن.

أربعون شاباً مقدسياً، كل واحد منهم معه طفلان، كلهم صلوا الضجر معاً وتوجهوا برفقتي أنا وجدي إلى منزل الوقف الإسلامي... فتحنا المنزل، فتحناه وكأننا نفتح المدينة المقدسة كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.. هكذا كان شعورنا. فالأربعون شاباً والثمانون طفلاً، وأنا وجدي، كلنا نعرف قصة البيت، ونعرف صعوبة تمكّنا من انتزاعه من بين فكي شياطين القدس الصهاينة لعنهم الله عز وجل.

قسّمنا البيت إلى أقسامٍ خمسة، ووجهنا كل ثمانية شبان وستة عشر طفلاً إلى أحد تلك الأقسام.. المجموعة الأولى: كانت مهمتها تنظيف السور الخارجي وما يحيط به من حديقة، وإلقاء القمامة التي كانت تملأ المكان في حاويات كان الشبان قد أحضروها معهم، فكل شاب أحضر معه حاوية القمامة التي كانت أمام منزله... وطلبنا من تلك المجموعة الأولى إعادة طلاء السور بعد عمل الصيانة اللازمة له، وإعادة زرع الحديقة بأشجار الزيتون بديلاً عن أكوام القمامة.

المجموعة الثانية: فلقد أكلنا لها تنظيف فناء المنزل من الداخل، وتصليح ما أصابه من أضرار، ثم إعادة طلائه من جديد.. والمجموعة الثالثة: كلّفت بإعادة ترميم الطابق الأول وصيانته ليعود أفضل مما كان عليه سابقاً.. والمجموعة الرابعة: كانت قد بدأت عملها هي الأخرى في ترميم الطابق الثاني وإعادة طلائه وإصلاحه من جديد.

المجموعة الخامسة، وهي المجموعة التي عملَ جدي معها، فقد أسندَ إليها مهمة تنظيم قبو المنزل وإعادة إصلاحه من جديد، فقد كان القبو رغم صغر حجمه مليئاً بالحييف الميتة والقرايين الملقاة داخله.

وإني لم أكن مشرفاً ولا مراقباً ولا مشاركاً بأعمال الترميم تلك، فالإخوة الأريعون كانوا كلهم تقريباً من ذوي الخبرة في مجال البناء والترميم، فلقد كان منهم الكهربائي والسباك والدهان والبلاط وغيره.. كانوا يعرفون جيداً ما يفعلونه، وكانوا يستعينون ببعضهم البعض إذا ما لزم الأمر، فنجد من كان يعمل في الفناء الخارجي، أصبح بعد عدة ساعات يعمل في الطابق الثاني، ومن كان يعمل في الطابق الأول نزل إلى القبو ليساعد في رفع الجيف والقوابين الشيطانية من داخله.. أما الثابت الوحيد فلقد كان جدي إذ دخل إلى القبو ولم يغادره إلا للصلاة فقط.

قمتُ بالعمل الوحيد الذي أجيد، فقد أحضرت من المسجد الأقصى أربعة أخوة من خيرة حفظة القرآن الكريم، ووزعتهم على مختلف أماكن البيت، وطلبت منهم أن يقرؤوا القرآن الكريم كاملاً من سورة الفاتحة إلى المعوذتين.

وطلبت من القراء أن يقرؤوا بالقراءات السبع حتى تكون تلك الطرق في قراءة القرآن زيادةً وخيراً.. لزمتم القبو وجلستُ في أقصى مكان بداخله، وبدأت بترديد القرآن كاملاً متنقلاً بين السور والآيات والأدعية النبوية الشريفة، وبين الرقى الشرعية الطيبة.

ويفضل الله الواحد الأحد القهار الصمد لم يرَ أحدٌ من في الأخوة العاملين في المنزل شيئاً غير طبيعي في من أماكن المنزل الخمسة، مخارجه، أو حوله، أو داخله، أو قبوه.

ويفضل من الله عز وجل تمكنا من أن نصلي صلاة العشاء في فناء المنزل جماعةً، بعد أن أكملنا إنجاز كل العمل المطلوب، وبعد أن أصبح المنزل في أبهى وأحلى حلة. وبعد الصلاة، غادر كل من مدَّ يديه للمساعدة إلى حال سبيله بعد أن شكرتهم أنا وجدي.

انضم لنا- أنا وجددي وأصدقائي المقربين الأربعة- عدد من الأصدقاء، وأمضينا ليلتنا الأولى في ذلك البيت الوقف لوجه الله تعالى... تلك الليلة أمضيناها مصليين متعبدين قارئين القرآن الكريم ومفسرين آياته الطيبة المباركة.. وما إن حلّ موعد صلاة الفجر، حتى توجهنا إلى المسجد الأقصى، وهناك صلينا جماعةً، وبعد الصلاة عاد كل واحد منا إلى منزله لينام قليلاً ويستريح.

ايقتلني زوجتي بعد عدة ساعات أمضيتها نائماً، فتناولت طعامي، وذهبت إلى المسجد الأقصى لأصلي الظهر، صليت صلاة الظهر وعدت إلى محل العطارة عند جدي... وهناك وجدت عدداً من أصدقائي وأصدقاء جدي جالسين، يتحدثون عما سوف أفعله لاحقاً بذلك المنزل، فقلت لهم: إنني لاحظت عندما تجولت في أرجاء المنزل أن هناك من قام برسم عددٍ كبير جداً من الصور المختلفة على جدران غرف المنزل، وأن تلك الرسومات كانت مجرد رسومات باللون الأسود، وأنها كانت تمثل أشكال وجوه وكلاب وقطط.

ولذلك، وبعد أن قمنا بمحو تلك الرسوم، وبعد أن قمنا بطلاء الجدران كلها باللون الأبيض، فإنني أريد أن أحول كل جدران تلك الغرف إلى لوحة واحدة متكاملة تمثل صورةً طيبة طاهرة.. فأنا أريد أن تزدان تلك الجدران بأسماء الله الحسنى، وبالآيات القرآنية الكريمة.

أما طريقة تنفيذ تلك الفكرة، فلم تكن تختلف عن طريقة تنظيف البيت وإعادة إصلاحه، فقد أحضرت خطاطاً مقدسياً من مرتادي المسجد الأقصى، وطلبت منه أن يخط بقلم الرصاص فقط لا غير أسماء الله الحسنى، وعدداً من الآيات القرآنية، على أن يملأ كل أركان البيت ابتداءً من القبو صعوداً إلى الطابق الأول والبهو وصولاً إلى الطابق الثاني، وفعلاً هذا ما فعله على مدار يومين كاملين فخط بخط يده أجمل الكلام والحروف، لكن بقلم الرصاص لا غير.

وما إن انتهى حتى أحضرت عدداً من الفتيان الذين كانوا قد عملوا في تنظيف المنزل قبل عدة أيام، وقمت بإعطائهم الأصباغ وفراشي التلوين، وطلبت منهم بمساعدة الخطاط أن يلوّنوا ما كان قد خطه هو بقلمه...

كان هدفي من وراء ذلك، هو زرع روح الطمأنينة في قلوب أولئك الأطفال، وجعلهم يدركون أنهم جزء من ذلك المنزل الوقف.. بل جزء مما سوف يحصل لاحقاً، فما إن أتوا لتلوين الجدران، حتى أصبحت جميلة مزدانة بأحلى ما يمكن لبشر أن ينظر إليه أو أن ينطق كلامه، وهو آيات الله وأسماءه الحسنى التسعة والتسعون.... هنا كتب الرحمن، وهناك الرحيم، وبينهما العلي والقدير، أما في تلك الحجرة فكتبت آية الكرسي، وأما القبو فيزدان بالعمودتين، ومن حولها تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله الحسنى، وهكذا أصبحت جدران المنزل أشبه بلوحة ازدانت بتلك الكلمات.

كل طفل كان ينتهي من تلوين اسم من أسماء الله، كان يلون في داخل قلبه وعقله صورة جديدة للمنزل الوقف، بحيث لم يعد الأطفال يتحدثون عن تلك الجيف والقربابن الشيطانية التي كانت تملأ أرجاء المنزل، بل أصبح هذا يقول لذاك أنا لونت هذا الجدار، فأصبح أجمل مما كان عليه، فهذا الجدار أصبح طاهراً نظيفاً.. طاهراً باسم الله، ونظيفاً من قربابن الشيطان.. هكذا قال لي خالد العطار.

كنت أسمع ما يقولونه ويرددونه حتى أصبحوا هم بأنفسهم جزءاً منه، فلقد طلبت من الصبية بعد أن أنهوا تلوين ما كان الخطاط قد خطه بقلمه، أن يقوموا بكتابة اسم «الله» عز وجل في كل أماكن البيت على هواهم، وبالشكل الذي يحبونه... فكتبوا هنا وهناك.

وما إن انتهوا حتى قلت لهم: اليوم يا أيها الفتيان نطوي صفحة بيت الجن، وإلى الأبد بإذن الله.... الله الذي خطت أيديكم الطيبة المتوضئة اسمه على الجدران، ونبدأ صفحة جديدة اسمها صفحة حماة القدس والأقصى.....

حماة بيت المقدس من شياطين الهيكل المزعوم، أنتم نواة طيبة ومباركة ستعملون معاً لكي يبقى هذا البيت منارةً للعلم وعلوم الدين، بعد أن كان مرتعاً لقرايين الفجرة الكافرين أتباع الشياطين. هذه أمانةٌ أحملها لكم، فاحملوها وحافظوها عليها. حوّلت القبو بعد أن فرشته بالسجاد، ووضعت داخله عدداً من المصاحف، إلى مكانٍ لتحفيظ القرآن الكريم. أما الطابق الأول والثاني فلقد وضعت بهما عدداً كبيراً جداً من الخزائن المخصصة لوضع الكتب، وأضفت إلى تلك الخزائن عدداً من الرفوف، فلقد أرسل لي فيصل المكي عدداً عظيماً من الكتب القيمة التي ملأت بها أرجاء المنزل.. فأصبح المنزل مكتبةً إسلاميةً ومنارةً للعلم... به يحفظ القرآن الكريم، وبه يدرّس بعض العلماء علوم أصول الدين لفتيان المقدس وفتياته... وما إن تمّ كل ذلك، حتى أصبح المنزل المكتبة وقفاً لله تعالى بيد أوقاف القدس.

أغرب ما حدث في ذلك البيت.. انه لم يحدث أي شيء على الإطلاق لا من قبل الجن، ولا الشياطين، طوال تلك الفترة التي عملنا بها على تجهيز المنزل أو حتى بعد مضي فترة طويلة على استعماله كمكتبة ومركز لتحفيظ القرآن من قبل أبناء القدس ومرتابيها.

حتى إنني عندما التقيت في رمضان الكريم في عشرينه الأواخر بفيصل المكي، هناك بمكة المكرمة عندما كنت أؤدي العمرة، وقلت له ما حدث منذ أن اشتريت البيت، وحتى سلّمته للوقف المقدسيّ، فقال لي: يا خالد العطار قلت لي ما حدث هناك عندكم في بيت المقدس، ولكنك لا تعلم ما كان يحدث هنا في مكة المكرمة... وأكمل: لقد كنا يا خالد طوال تلك المدة لا نكف عن الدعاء لكم بأن ييسر الله أمركم، ويحيط عمل الشيطان وأتباعه من جان، ولقد ظللنا طوال أيام طويلة وليالٍ طويلة ندعو لكم وما زلنا... ولن نتوقف عن الدعاء، لأن دعاءنا هو أقل ما يمكننا تقديمه لكم هناك في بيت المقدس.

فقلت له: ألم تدفعوا المال لشراء البيت، وترسلوا كتب الدين لتعمروا بها البيت فأصبح مكتبة؟ فقال: هذا صحيح، ولكن ألم تكن أنت صاحب المبادرة، وصاحب الخطوة الأولى؟ ألم تواجه الجان في بيت الجان؟... أنت يا أخي خالداً موهبة ريانية، وهي الشجاعة والإقدام، فانطلقت إلى هدفك، وأزلت الفحشاء والمنكر من ذلك البيت، وحوّلته لمنارة بها اسم الله يذكر.

أخي خالد.. المال كثير جداً، والكتب أكثر، ولكن أصحاب المبادرة الشجعان هم القلائل في هذا الزمن الصعب الجائر.

أتمت أداء عمرتي، وعدت أدراجي إلى القدس محملاً بحملٍ ثقيل وأمانةٍ أثقل، وهي أن أضل سائراً على دربي بمقاومة شياطين الهيكل المزعوم.. وكان يدور براسي ذلك الحديث النبوي الشريف: «كلّ ميسّر لما خلق له».

كانت السعادة رغم ذلك الحمل الثقيل تملأ قلبي، حتى إنني قلت لنفسي والله لا أعود عن دربي وطريقي هذا حتى لو دفعت روحي فداءً لربي ونصرة ديني. وذكرت آية قرأتها في كتاب كنت أحمله معي في طريق عودتي جاء بها: **﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾** واتبعت الآية بكلمات كتبها الكاتب. فقال: «فأراني النور أمامي، وأحسن الهدى بقلبي، وأمسك الحبل بيدي، وأنال النجاح في حياتي، والفوز بعد مماتي».

صحيحٌ أنني لم أكن أخشى من الشياطين والجان، ولكني كنت أخشى من غدر أتباع إبليس من شياطين الهيكل المزعوم، فهم ناقضو عهود ووعود، وهم قاتلو أنبياء ورسل وأولياء صالحين.

سماكة الجدران وكثافة القضبان

﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ...

ما إن عدت من أداء العمرة في مكة المكرمة، حتى تم اعتقالي وأسري من قبل قوات حرس الحدود الصهيوني، تلك القوات التي اعتقلتنني فور وصولي إلى أحد مداخل مدينة القدس المحتلة، ثم اقتادتنني إلى أحد مراكز التحقيق، وهناك لم يسألني أحد ولم يحقق معي أحد، بل اكتفوا بإلقائي في إحدى زنازين أقبية التحقيق.. عندها أدركت أن هناك ما يُحاك ويدار من قبل تلك القوات المختلفة ومن قبل محققيها. فقلت قول الله عز وجل ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢١٦).

ولكي أحافظ على رباطة جأشي كنت أقرأ كل يوم بحمد الله خمسة أجزاء من القرآن الكريم، تلك الآيات لم تكن من المصحف الشريف، فإنه لم يكن في زنازنة أقبية التحقيق أي شيء من متاع الدنيا.. أما قراءتي لآيات القرآن الكريم فلقد كانت من متاع الآخرة، أي من ذاكرتي فأنا وبحمد الله حافظ لكتابه المبارك.

وهكذا ومن خلال تريلي للقرآن الكريم في خلوة الأسر، تمكنت من أن أرى الأمور الدنيوية الزائلة والدينية الدائمة بمنظور أوضح وأشمل... ذلك المنظور الذي استنبطته من العقل الباطن، ومن الذاكرة البعيدة، تلك الذاكرة التي استرجعت ما كان بها من أحداث وأمور مرّت بي منذ نعومة أظفاري وصولاً إلى يومي هذا.

ومع مضي الأيام والأسابيع، وأنا على حالي هذه، أدركت أن الأسر بالنسبة للمؤمن هو باب من أبواب التقرب إلى الله عز وجل.. صحيح أنني وقبل أسري كنت عابداً مصلياً مطيعاً لأوامر الله، إلا أنني لم أكن مستنيراً مستبشراً كما هي حالي الآن في تلك الزنازنة المدفونة في قلب قبو مظلم.

وصحيح أنني قتلت اثنين من شياطين الهيكل المزعوم، تلك الشياطين التي قتلت هي بسحرها عشرات المسلمين في المدينة المقدسة على مر السنين، إلا أنني لم أكن أخشى من ذلك الأمر، وتلك الفعلة، فلم يكن أحد قط يعلم بما فعلته في أنفاق الظلام التي حضرها اليهود تحت المسجد الأقصى.

فأنا لم أخبر أحداً قط، ولم يرني بفضل الله أحد أيضاً، باستثناء عالم الغيب والشهادة رب العالمين.. أما ما كان يشغلني فهو كبير بني صهيون، فلقد توقعت أن يكون يعقوب وابنه حاييم قد دبّرا لي مكيدة ما، لكي يزيجاني من طريقيهما، ولكي يواصل أعمالهما الشيطانية هما ومن معهما من سحرة اليهود.. شياطين الهيكل المزعوم.

بعد مضي عدة أشهر وأنا على هذه الحال، تم اقتيادي مكبل اليدين والقدمين إلى إحدى المحاكم، هناك كان الحكم جاهزاً بلا محام أو محققين، ما إن دخلت المحكمة حتى قال القاضي: لقد حكمت عليك بالسجن لمدة عامين!

قال ذلك وأنا لا أعلم شيئاً عما قال، أخذت بعدها إلى السجن، هناك رأيت عالماً جديداً عليّ، لم أكن قد رأيته من قبل، رغم أنني سمعت عنه الكثير، إلا أن الرؤية تختلف عن السماع.. ما إن دخلت إلى السجن حتى رأيت الأسرى في محبسهم ومعتقلهم، ولأن منظري يدل على تديني، فأنا أعطي لحيتي، فلقد جاءني من يشبهني، وقال لي أين جنتك يا شيخ؟ فقلت له: أسأل ابن تيمية فهو أعلم بمكانها مني ومنك... قال: صدقت، فلقد قال ابن تيمية عندما سجن وأسر: «ماذا يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي في صدري، أتى سرت فهي معي، إن قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة».

أردف الأسير الملتحي المتدين، أنا اسمي «أحمد، أخوك في الله، فقلت وأنا اسمي خالد العطار، أخ لك في الله إن قبلتني.. فقال: مرحبا بك بين إخوتك وأهلك.. كم حكموا عليك من الأعوام؟ قلت: عامين اثنين.. قال: وماذا تعمل لكسب قوت يومك؟ قلت: عطاراً، أعمل في محل للعطارة يعود لجدي إبراهيم العطار ولوالدي هناك في القدس.

قال: وغير العطارة ماذا تعمل؟ قلت: لا شيء سوى قراءة القرآن الكريم، والتفقه في أمور الدين. قال: أيحكمون عليك بعامين فقط لأنك عطار وقارئ القرآن.. على كل حال فلا غرابة في حالتك، ولكن قلبي يقول إن هناك خلف الأمور أموراً وأموراً..

قلت: دع الغيب لعالم الغيب، ولا تشغل نفسك إلا بما بين يديك...

قال: صدقت فالغيب لعالم الغيب كما قلت.

مضت الأيام، وأنا أشاهد تصرفات الأسرى من حولي، فرأيت أنهم كتلة طيبة متماسكة، يصلون بهدوء تام، يتعاملون مع بعضهم البعض بأروع صور الإيثار والمحبة، فهدأت نفسي واطمأننت بينهم وارتحت.

أدركت مع مرور الأيام أيضاً أنني بين رجال قد عاهدوا الله على نيل إحدى الحسينين، إما الشهادة في سبيل الله، وإما النصر، وكانوا مقاومين مجاهدين، لا يرون وسيلة سوى القتال لدحر المحتل من بيت المقدس ومن فلسطين.

أفكارهم أعجبتني، واقتنعت بها، ولكنني فضلت أن أبقى العطار.. العطار لا أكثر ولا أقل. فالعطارة مقاومة من نوع لا يجيد فنونه إلا القليلون في هذا الزمن... فأنا عطار متسلح بقرآن في مواجهة سحرة متسلحين بالجان.. ولأنني أدرك أن الحجر الصغير إذا ما وضع في مكانه الصحيح، فإنه يساوي مقدار جبل من الحجارة. فلقد فضلت أن أبقى في مكاني.. في القدس وأزقتها، وأترك ساحات القتال المسلح للمقاومين المجاهدين، بارك الله فيهم وسدد خطاهم.

في الأسر، كوَّنت صداقات من ذلك النوع الذي يأمن به أحداً على روحه عند الآخر، دون أن يقلق أو يحمل هم.. فتلك الصداقات بُنيت على أساس الأخوة في الدين، والإخلاص للهجز وجلفي العمل والنية.

قال لي الأخوة في الأسر، إنهم يظنّون أن سبب اعتقالى يعود إلى وشاية من أحد الصهاينة، وأنهم يتوقعون أن شرائى لأحد البيوت المقدسة وتحويله إلى الوقف الإسلامى قد يكون سبب تلك الوشاية.. هذا ما كنت أنا أشكّ به منذ اليوم الأول لأسرى وزجّى في المعتقل، وما أكد لي هذا الاعتقاد هو أنني قد علمت أن البيت الوقف والمكتبة الإسلامية التي كانت داخله قد تعرضا للحرق، وأنا موجود في زنازين أقبية التحقيق.

إلا أن هذا الخبر قد وصلني ووصل معه خبر آخر، يفيد أن العطار الأكبر جدي إبراهيم قد قام بإعادة إعمار البيت والمكتبة من جديد، وقد أعادهما كما كانا وينفس الطريقة التي عملت بها أنا، فلقد استعان جدي بالأربعين شاباً وبالثمانين طفلاً أيضاً بمكتبة الرمحي أحمد وهكذا أعاد ما كان بحمد الله.

في الأسر، وخلف تلك الجدران السميكة والقضبان الكثيفة، رأيت ووجدت أن هناك بعض الأسرى ممن يحتاجون للمساعدة، فلقد كان أحد أولئك الأسرى يعاني حالة من الانطواء الكامل، والابتعاد عن باقي الأسرى الآخرين، وكان هذا الأسير شارد الذهن طويل الصمت هارياً إلى الوحدة والخمول، ومع ذلك فلقد كان كثيراً ما يصاب بصداع شديد يدوم فترات طويلة جداً.

وعندما سألت الأسرى الآخرين عنه، قالوا: إن حالته بدأت منذ قرابة العام، وذكروا أن ذلك الأسير كان مثل المكوك لا يهدأ أبداً عن الحركة وعن النشاط، إلا أنه فجأة وبدون مقدمات تحوّلت حالته إلى النقيض تماماً عما كانت عليه.. رغم أن الأعراض التي كانت باديّة عليه وبشكل واضح، كانت تدل على تعرضه لنوع من السحر اسمه «سحر الخمول»، إلا أنني استبعدت ذلك لكونه موجوداً في الأسر، ولم أتوقع أن يكون أحد ما قد صنع له مثل هذا السحر.

ورغم ذلك، فلقد مشيت خلف حدسي، وطلبت من أحمد، ذلك الأسير الذي تعرفت عليه في يومي الأول في المعتقل، أن يصطحبني لمقابلة ذلك الشاب، فدخلنا عليه حجرته في المعتقل، لكنه لم يرحّب بنا أثناء دخولنا عليه، بل أراد تركنا ومغادرة الغرفة، فأمسكت به وأجلسته رغماً عنه.

حاول أن يقاومني لكنني استعنت بأحمد، فأجلسناه على السرير، ووضعت يدي على رأسه، وبدأت بقراءة الرقية الشرعية، فإذا به يصرع على الفور، وعندما بدأ الجنّي الذي بداخله يحدثني سألته عن اسمه، فقال لي: اسمي «من داد».

قلت: لماذا أنت هنا داخل جسد هذا المسلم يا من داد؟

قال: وما شأنك أنت؟

قلت: شأني أنني مسلم، أخاف على أخي المسلم، هل أنت جني مسلم يا من داد؟

قال: لا أنا لست مسلماً ولست على دين أحد سوى دين أبي إبليس.

قلت: أنت كافر إذاً، والنار مصيرك بإذن الله.

قال: فلتقم القيامة أولاً إن كانت هناك قيامة، وبعد ذلك نرى ما هو مصيري...

قلت: لكني لن أنتظر قيام القيامة، بل سأحرقك الآن لتذهب إلى جهنم وأنت

محروق مذموم مدحور.

قال: وكيف تستطيع؟

قلت: أنا عبدٌ من عباد الله عز وجل، عبدٌ قارئٌ للقرآن وقارئٌ للرقية الإسلامية

الشرعية، تلك الرقية- وقبلها قرآن ربي- سيحرقانك بإذن الله عز وجل.

قال: وكيف النجاة؟

قلت: لا سبيل لك للنجاة سوى أن تخرج من جسد هذا الشاب وتبتعد عنه.

قال: إن خرجت سيقتلني أتباع إبليس، فهم اثنان، وأنا أراهما يهدداني إذا ما خرجت قتلاني.

قلت: تخرج وأضمن لك النجاة بإذن الله عز وجل.

قال: كيف هي النجاة وأنا محاصر بهم وبك؟

قلت: ما رأيك أن تسلم بالله الواحد الأحد.

قال: لا لن أسلم، فأنا كافر ابن كافر، هكذا ولدت، وهكذا أريد أن أحيأ.

حاولت مع ذلك الجنى «من داد، بأن أجعله يسلم، لكنه كان مُصرّاً وعنيداً ويرفض الاستماع والهداية، فقلت له بما أنك لا تريد أن تسلم، فسأحرقك إذاً.

أحضرت الماء ويدات القراءة عليه دون أن أحدث الجنى «من داد، بأي كلمة..

فقال: هل أقول لك من أرسلني إلى جسد هذا المسلم، فتركني وشأني؟، فأنا

هنا ليس لأضره وإنما لأحميه.

قلت: وكيف تحميه؟، وأنت قد قلبت حاله رأساً على عقب، فما عاد يصلي ولا

عاد يكلم أحداً، وأصبح يمضي كل أيامه ولياليه وحيداً شارد الذهن.

فقال: إن علمت من أرسلني فستعذرني.

قالت: من أرسلك؟ قل لي.

قال: أولاً تعدني أنك لن تحرقني أبداً، وتقسم على ذلك.

قلت: وما يهمك قسمي وأنت جنى كافر، لن أعدك ولن أقسم لك، ولكني

أضمن لك أنه إذا ما تركت جسد هذا المسلم، فإنني سأعطيك سلاحاً لا يقترب

منك أحد من الجن خوفاً منه.

فقال: وما هو هذا السلاح؟

قلت: قل لي أولاً حكاية دخولك إلى جسد هذا المسلم بالتفصيل، وبعد ذلك

أعطيك السلاح.

فقال: لقد أرسلني الساحر لكي أتمركز في مخ هذا الشاب، فأجعله انطوائياً منعزلاً عن الناس، وطلب مني أن أسبب له الصداق إذا ما حاول الخروج من عزلته وانطوائه، هنا داخل المخ أنا أجلس.. أجلس لأن أم هذا الشاب هي من طلب من الساحر ذلك، هل سمعتني يا شيخ خالد، أمه هي من طلب من الساحر ذلك. فقلت: أنت جنني كاذب، وأنا لن أصدقك حتى تخبرني عن السبب الذي جعل أمه تطلب مثل هذا الطلب الظالم القاسي، هل تريد مني أن أصدق أن هناك أمّاً ترغب بأن يمرض ابنها ويعاني ويلاط الألم؟ قل واقنعني وإلا ورب الكعبة لأحرقنك بكلمات ربي القهار الجبار.

فقال الجنني «من داد»: أمه قالت للساحر أنها تريد أن تحمي ابنها وأن تعيده إلى بيتها، وقالت الأم للساحر، أن ولدها هذا ما يكاد يخرج من المعتقل حتى يعود إليه ثانية، فهو يقاتل ويسجن، ويسجن ويقاقل، وأمّه تريد أن يترك السجن والقتال ويعود إلى بيتها، إلى حياته العادية بعيداً عن تلك المشاكل.

فقلت: أنا لا أصدقك، ولكن هذا السلاح الذي وعدتك به، وانصرف، وأقسم بالله العلي العظيم إن عدت ثانية لسوف أحرقك، وأحرق من يعود من الجان من بعدك.. جعلت الجنني يحفظ آية الكرسي من سورة البقرة، فحفظها بعد جهد كبير، وترك الشاب وانصرف.

أحمد كان بجواري، يرى ويشاهد كل ما حدث، طلبت منه أن يسقي الشاب ماءً قرأت عليه الرقية الشرعية، وأن يجعله يتوضأ من ماء آخر قرأت عليه هو أيضاً... وطلبت من أحمد ألا يخبر ذلك الشاب ما سمعه من الجنني الكافر» من داد» وعللت ذلك أن الجان هم من الكاذبين، وأنهم دائماً يرغبون في إيقاع الفتن قبل تركهم مرغمين جسد المريض الذين احتلوه ظلماً وغدراً. فوعدني أحمد أن يكتفم ما رأى وسمع، وأن يهتم هو- وبشكل شخصي- برعاية ذلك الشاب.

وبحمد الله عزوجل وبقوته وقدرته وحده لا غيره، عاد الشاب إلى حياته السابقة، فأصبح يصلي ويصوم الاثنين والخميس، ويخالط أخوته الأسرى والمعتقلين، أما أنا لم أكن أدري هل أصدق ذلك الجني الملعون رغم أن كلامه كان مقنعاً، ورغم أنني شعرت خلال حديثي الطويل معه أنه جني عنيد جداً لكنه غبي أيضاً.

تركت التفكير في هذا الموضوع، وقررت أن أعلم الأسير أحمد كيفية عمل الرقية الشرعية، فأحمد الأسير محكوم بحكم عالٍ جداً، فلقد حكم عليه القاضي بمؤبد وعشرين عاماً فوق المؤبد، لذلك وبعد ما رأيت منه من صلاح حال وتمسك بدين الله عزوجل، كان هو الاختيار.

صارحته بذلك، فأبدى رغبته على الفور بالتعلم، وطلب مني أن أعلم أخوين آخرين الرقية الشرعية، وكيفية التعامل مع الجان، وذكر أن كلا هذين الأخوين هما من أصحاب الأحكام العالية جداً، وهما من المؤمنين المصلين القائمين.

وهكذا، فبدل أن أعلم أحمد علمت ثلاثة معاً، وخلال أسبوع واحد، كانوا قد حفظوا ما تعلموه عن ظهر قلب، وزدت على ذلك بأن أعطيتهم أوراقاً قمت بكتابتها خلال وجودي في المعتقل.. تلك الأوراق التي كتبت بها بعض تجارب علاج من أصيبوا بالسحر أو بالحسد.. وهكذا حفظوا الرقية وتدارسوا التجارب فيما بينهم.

ومن أهم ما يطلب من أولئك المتعلمين الجدد، ألا يتم العلاج بالقرآن والرقية الشرعية إلا بشرطين اثنين، أولهما: يجب أن يكون المعالج مسلماً مستقيماً متبعباً لتعاليم دينه قلباً وقالياً، وأن يؤمن المعالج أن الشفاء ليس منه ولا بيده، وإنما الشفاء هو من الله عزوجل وييد الله وحده.

وثاني الشرطين: هو أن المريض المراد علاجه يجب أن يعلم أن شفاءه من عند الله وحده، وأن القرآن هو دواؤه من ذلك المرض والسحر.

قبل إتمام العامين على وجودي خلف قضبان الأسر بنحو شهر تقريباً، جاءنا إلى المعتقل الذي كنت أقيم داخله شاب كان قد أمضى نحو عشرة أعوام في زنازين العزل الانفرادي، تلك الزنازين التي تشبه القبور بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهي زنازين ضيقة جداً لا تتجاوز مساحتها أربعة أمتار مربعة، في مترين منها يوضع فراش النوم، وفي مترها الثالث ركن الحمام، أما مترها الرابع والأخير فهو الفاصل بين فراش النوم والحمام.

فالأسير في زنازين العزل الانفرادي الصهيوني يصلي على فراش نومه، وهناك على ذلك الفراش يأكل ويشرب أيضاً، فعالم الأسير المعزول مختصر في مساحة لا تزيد عن حجم فراش طوله متران وعرضه أقل من متر واحد... هذا هو عالم الأسر المعزول في أقبية الصهاينة المحتلين.

جاءنا الشاب، وما إن لبث ليلته الأولى عندنا حتى أدركت أنه مصاب بسحر عظيم، فلقد بدت عليه كل معالم سحر الهواتف، ذلك السحر الذي يكلف الساحر به جنياً لكي يشاغل الإنسان في منامه، وفي يقظته أيضاً، فيتمثل له الجني في أحلامه على هيئة حيوانات مفترسة مربعة بشعة المنظر، أما في اليقظة فيكون جني سحر الهاتف ينادي على المريض بأصوات أشخاص يعرفهم تارةً، وبأصوات أشخاص لا يعرفهم أبداً.. فلقد لاحظت من الليلة الأولى أن ذاك الشاب كان يقوم من منامه مفزوعاً خائفاً من الكوابيس.

وفي الصباح، عندما سألته عما رآه في منامه، قال: إنه ومنذ مدة طويلة يرى حيوانات بشعة المنظر تطارده في منامه وتحاول قتله، وأنه في منامات أخرى يرى أنه يسقط من فوق جبل عالٍ إلى وادٍ سحيق.

أما في اليوم التالي، فلقد لاحظت على ذلك الشاب المعزول أنه كثير الشك في أصدقائه وأخوته من الأسرى، بل إنه يتحدث مع نفسه في بعض الأحيان.. وعندها جازمت أن جني هواتف الوسواس قد أصابه واستقر بداخله منذ مدة طويلة.

وعندما سألت أحمد عنه قال لي: إنه مقاوم فلسطيني قوي وعنيد، وأنه ذو صولات وجولات في المعارك مع المحتل الصهيوني، وأن الصهاينة قاموا بزجه في أقبية زنازين العزل الانفرادي منذ اليوم الأول لاعتقاله، أي منذ ما يزيد عن عشرة أعوام، دخل إلى تلك الزنازين عاقلاً كاملاً، وها هو اليوم يخرج منها مصاباً بالجنون أو ما يشبه الجنون، فسألت أحمد: ألم ير أحد ذلك الأسير المعزول طوال تلك الأعوام العشرة؟ فقال لي: لم يره أحد منذ يوم اعتقاله الأول حتى اليوم الذي جيء به من هناك.

وأكمل أحمد: هل ترى يا شيخ خالد أنه قد جنّ من العزلة والوحدة؟ هل جنّ من زنازين العزل الانفرادي؟ هل جنّ من أقبية قبور الأحياء التي مكث بها طوال أعوامه الماضية؟

قلت: العلم عند عالم الغيب، ولكني أرى أنه ما بهذا الأسير ليس سوى مس جني أو سحر، والله أعلم... ولكن لكي تقطع الشك باليقين، عليك أن تحاول علاجه أولاً بالرقية الشرعية.

صلينا العشاء جماعة أنا وأحمد والأخوين اللذين تعلمنا علوم الرقية الشرعية، وصى معنا ذلك الأسير القادم من قبور الأحياء.. جلسنا بعد الصلاة وقرأت الرقية الشرعية على ذلك الشاب، قرأت وقرأت لكنه لم يصرع، ولم ينطق الجني الذي كان بداخله، كما كنت أتوقع.

طلبت من أحمد أن يقرأ هو الرقية الشرعية، ولكن لم يحدث أي شيء معنا،
إلا أن الشاب شعر ببعض الصداق لا أكثر. وعندها ولأنني جزمت بيني وبين
نفسى أن ذلك الشاب قد أصابه مس من الجان، فلقد طلبت منه أن يتقيد بما
أطلبه وأن ينفذه بالحرف الواحد.

كان شاباً مطيعاً جداً ومتجاوباً، قلت له: أولاً إياك ثم إياك أن تنام من غير
أن تتوضأ، وأتبع وضوءك بقراءة آية الكرسي مجوذة، اقرأها وكررها حتى تشعر
أنك قد قاربت على النوم، وعندها اجمع كفيك معاً واقرأ المعوذتين وانثف فيها
وامسح جسدك بيديك ثم كرر هذه الفعلة ثلاث مرات قبل النوم.

أما عندما تصبح، فعليك بعد الوضوء وصلاة الفجر معنا أن تأكل تمرات
سبع، ثم تقرأ.. سورة البقرة مرة واحدة كل يوم، وفي الليلة الثانية عليك بقراءة
الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة قبل النوم، وبعد المسح وقراءة المعوذتين،
وختاماً: عليك أن تدعو الله وتقول: «بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي
ذنبي، وأخسئ شيطاني، وهك رهاني، واجعلني في الندى الأعلى».

مضت أيام شهري الأخير المعتقل لم أكن أعدها، بل كنت أعد أيام علاج ذلك
المقاوم القادم من قبور العزل الانفرادي، كان الشاب ويحمد الله عز وجل يتحسن
يوماً بعد يوم، فبعد الأسبوع الأول ذهبت عنه الكوابيس والأحلام المفزعة، ولم
يعد يرى منادياً يناديه في حلمه، ولا حتى في يقظته، ومع وصول الشاب
للأسبوع الثالث كان الشاب- وبفضل الله عز وجل- قد تخلص من الوسواس
ومن الشكوك في أصدقائه وأخوته الأسرى. ويحمد الله يوم أن خرجت من خلف
أسوار السجن، وعدت إلى أهل بيتي في القدس، كان الأسير المعزول قد خرج من
عزله ومن دائه، وأصبح على أفضل حال وفي أفضل وضع ممكن، بل إنه قد أصبح
مثل باقي الأسرى المقاومين.

وقبل خروجي بيومين سألته عما جرى له هناك، في زنازين العزل الانفرادي.. فقال لي: «لقد كنت وعلى مدار أشهر طويلة من اعتقالني وأسري أتعرض للضرب المبرح، وخاصة على رأسي، وعندما تم وضعي في زنزانة العزل... في قبر الأحياء الأموات، أمضيت شهوراً طويلة دون أن أرى نور الشمس، أمضيتها وأنا جالس في ظُلم حائلة قاتلة مكبّل اليدين والقدمين في زنزانتي.

ويعد ذلك ما عدت أدري ما حلّ بي، فلم أتمكن من النوم لأيامٍ طويلةٍ جداً بسبب الكوابيس المرعبة، وكنت دائماً أشعر أن هناك من هو معي في الزنزانة يكلمني وأكلمه، كلامه كان كله شتائم وكفر بالله عز وجل، أما كلامي فلقد كان لمحاولة ثنيه عن كفره وشتائم الفاجرة الفاحشة.

وهكذا أمضيت أعوامي العشر وأكثر، في عذاب ما بعده عذاب، أما اليوم فانا ويحمد الله عز وجل في أحسن حال بالقرآن وبالرقية، أصبحت حياً بعد أن كنت ميتاً، جسداً بلا قدرة على السيطرة على عقله... عاد العقل إلى الجسد فعادت معه الروح». ذلك الأسير المعزول كان هو الآخر من أصحاب الأحكام العالية، ولذلك قررت أن أعلمه الرقية الشرعية لكي يرقى بها نفسه والآخرين، والأهم هو أن أجعله يؤمن بأنه يملك سلاحاً ودرعاً قوياً هو القرآن الكريم، لكي يدافع به عن نفسه أمام الشياطين والجان.

هذه الحالة كانت من أكثر الحالات التي حيرتني على الإطلاق، فلم أكن قادراً على الجزم بما كان قد أصابه، إن كان جنأً أو سحرأً من سحر الهواتف والوسوسة، أو كان جرأً ضغط نفسي وعقلي بسبب عزلته تلك المدة الطويلة بعيداً عن البشر. ذلك الضغط الذي من الممكن أن يؤدي إذا زاد إلى إصابة الإنسان بالجنون والعتة. ودعت الأسرى وشكرتهم على صحبتهم الطيبة، وعدت إلى مدينة القدس المحتلة.

عائد إلى الأزقة... عائد من أجل القصاص

ها أنا أخطو خطواتي الأولى في أزقة مدينة القدس المحتلة، تلك الخطوات التي كانت مثل نقش في ذاكرتي، ما إن خطوت خطوة حتى تذكرت أنني كنت هنا قبل عامين، أتذكر أنني هنا جريت وهناك لعبت، وهنا مررت، وأنا في طريقي إلى محل العطارة، ومن هنا أيضاً كنت أسرع الخطى لكي أصل مبكراً إلى باحات المسجد الأقصى كي أصلي في الصفوف الأولى، رغم أن فترة غيابي لم تكن طويلة، إلا أنني أحسستها وكأنها الدهر كله.

هكذا نحن أبناء القدس، نعشق الجدران والأزقة، نحب أن ننظر إلى قبة الصخرة الذهبية، وكأنها ألف بدر جمعت في بدر تجلى في تلك القبة... فشوارع وأزقة القدس لا يمكن أن تخلو من رائحة الزعتر البري، ولا من رائحة الياسمين، لم نرَبيتاً إلا وقد غرس صاحبه زيتونة أو تينة.

في هذين العامين اللذين غبتهما عن المدينة، رأيت أن هناك الكثير من التغيير قد حلّ بتلك الأزقة المقدسية، فلقد زرع الصهاينة آلاف وآلاف من الكاميرات في كل أرجاء المدينة، حتى أصبحت حركة أبناء المدينة مراقبة بشكل كامل، نظراً لتعدد تلك الكاميرات، فمنها الثابت ومنها المتحرك ومنها النهاري ومنها الليلي أيضاً.

ما عاد للأزقة والمدينة خصوصية أو حرمة، لقد شعرت أن الصهاينة أرادوا من تلك الكاميرات أن يحولوا المدينة إلى سجن نعدُّ ونُحسَبُ به الأنفاس على ساكني القدس المحتلة.. خنقني ذلك أكثر مما كنت مخنوقاً وأنا هناك خلف الجدران السميكة والقضبان الكثيفة التي تطوق السجن والمعتقل.

ما إن اجتزت الأزقة حتى وصلت إلى دكان جدي، فعانقته وعانقت والدي الذي كان ينتظر عودتي على أحر من الجمر، فوالدي هو بمثابة صديق لي إذ إننا كنا دائماً نتسامر ونتبادل الحديث الطويل معاً.

في الدكان تجمّع الأصدقاء وأصحاب المحلات المجاورة للسلام عليّ أيضاً،
ولسوّالي عن أحوال الأسرى الذي تركتهم خلفي في المعتقل، إذ كان العديد من
الأسرى الذين قابلتهم في المعتقل هم من أبناء مدينة القدس المحتلة.

حلّ موعد الصلاة فتوجهت مع جدّي ووالدي للأقصى لكي نصلي هناك...
صلينا وسلمت على الكثير الكثير من الأصدقاء، وعدت إلى بيتي، حيث كانت
أمي وزوجتي وأطفالي بانتظاري.. من عناق إلى عناق تلقّفني أهل بيتي.

تناولت طعامي في ذلك اليوم، بنوع من الأسي والتنغيص، رغم أن الطعام
كان على أفضل ما يمكن أن يكون، كان شهياً ذا رائحة جميلة، إلا أنني كنت لا أزال
أشعر بغصة طعم الأسي في فمي ومرارته. وأشعر بالذنب لأنني حر طليق، أكل
من المشاوي والمحاشي ومما لذّ وطاب، وإخوتي في الأسر يعانون الأمرين.

في صباح اليوم التالي، توجهت إلى رؤية المكتبة، ويحمد الله وفضله وجدتها
على أحسن حال، فهناك من يتدارس القرآن الكريم في قبوها، وهناك من يقرأ
كتب أصول الدين في أرجاء غرفها، وعلمتُ أن فيصل المكي عندما علم ما حل
بي من أسروما حل بالمكتبة من حرق، أرسل مجموعة كبيرة من الكتب يرفد بها
رفوف المكتبة ويعيدها مركزاً ومنازةً للدين.

لم أكن أنظر إلى حال المكتبة بعيني فقط، بل كنت أنظر بقلبي أيضاً، فقلبي كان هائناً
مطمئناً أثناء تجوّلي في المكتبة.. هكذا صار اسمها بعد أن كانت تسمى وكر الشيطان.

لقد أثر تحوّل وكر الشيطان إلى مكتبة للعلم ونشر الإيمان في نفوس العديد
من طلبة علوم الشريعة الإسلامية في الجامعات، مما جعل العديد منهم يطلب
من جدي أن يعلمه أصول الرقية الشرعية.. الرقية القرآنية، ولقد تجاوب جدي
مع كل من طلب منه ذلك، ويحمد الله وحفظه تمكّن جدي من تعليم الكثير من
أولئك الطلبة، ولذلك أصبح العلاج بالرقية الشرعية خلال العامين الماضيين
أمراً مستحباً ومتداولاً في مدينة القدس.

حتى ولو لم يكن الإنسان مريضاً أو مصاباً بسحر أو بمس شيطاني، فلقد كان العديد من أبناء المدينة يتوجهون لطلبة الشريعة الإسلامية وشيوخ المسجد الأقصى لكي يقوموا برقيتهم بواسطة القرآن الكريم. وهذا الشيء أدخل السرور إلى قلبي وجعلني أشعر بالطمأنينة إذ إن القدس لن تكون مرتعاً وساحةً لعيش أتباع شياطين الهيكل المزعوم.

وهنا، قررت أن نوسع عملية تعليم الرقية الشرعية، فقامت زوجتي بمساعدة عددٍ من أخواتها دارسات الشريعة الإسلامية بنشر الرقية بين نساء القدس وبناتها... أما الأهم فلقد كان من خلال نشرنا للتوعية بخطورة السحر والشعوذة وتحريم إتيان السحر والسحرة بين المواطنين المقدسيين.

وخلال ما يقارب العام على خروجي من الأسر، لم أصادف سوى بعض الحالات المصابة بالسحر، وكانت معظم تلك الحالات قد تعرضت للسحر على يدي الشيطان يعقوب أو ابنه حاييم. فالصهاينة قاموا بنقل أسحارهم وشعوذتهم إلى باطن الأرض تحت المدينة المقدسة داخل شبكة معقدة من الأنفاق، حيث أقاموا داخلها المعابد والخلوات الشيطانية وأقاموا بها أيضاً أماكن للقرابين المخصصة للجان.

وبسبب ما نشرته قوات الاحتلال من كاميرات في كافة أرجاء المدينة المقدسة، وفي مداخل تلك الأنفاق.. بالإضافة إلى تشديد الحراسة بشكل هستيري، لم أعد أتمكن من الدخول إلى الأنفاق وأقبيتها.

حاولت كثيراً إلا أنني لم أتمكن، استمر الوضع على هذه الحال حتى فكّ الله أسر أحد أبناء القدس، وعاد من المعتقل إلى مدينته، فالتقيته وقد كان من أصدقائي الأعماء الذين أثق بهم ثقة كبيرة، لذا أخبرته برغبتي في دخول الأنفاق وسألته إن كان يستطيع مساعدتي على ذلك.

ودون أن يسألني عن السبب وراء رغبتني تلك، قمت بإخباره بالسبب وراء الدخول لتلك الأنفاق، حاول ذلك الصديق ورغم خبرته في مثل تلك الأمور إلا أنه لم يتمكن هو الآخر.

ولكنه قال لي: بما أننا لم نتمكن من الدخول إلى تلك الأنفاق، فلم لا نخرج من بها من سحرة ومشعوذين إلى خارجها؟ ثم أردف متحمساً: ما رأيك أن نختطف واحداً منهم ونسأله عما يجري هناك في الأسفل؟ على الفور قلت له: نعم ولم لا... هناك ساحر وابنه قد أذيا الكثير من أهل المدينة المقدسة، فإن أردت أن نخطف أحداً فلنبدأ بهما أولاً، ثم بعد ذلك نحقق معهما ونرى ما يمكن فعله... فنحن لا نستطيع أن نبني خطوة دون أن نثبت الخطوة التي سبقتها أولاً.

وعلى الفور، بعد التوكل على الله بدأنا بمراقبة تحركات يعقوب وابنه حاييم، كنا نراقبهم والكاميرات المنتشرة في المدينة المقدسة تراقبنا نحن جميعاً.. لذلك قررنا أنه علينا خطفهما خارج المدينة وليس داخلها لصعوبة عمل ذلك مع وجود هذا الكم الهائل من كاميرات المراقبة.

ما إن مضت عدة أسابيع على بدئنا بالمراقبة حتى أصبح واضحاً لنا أن يعقوب وابنه حاييم يغادران المدينة كل أسبوع مرة واحدة على الأقل، ويتوجهان إلى صحراء النقب حيث كنت قد تبعت يعقوب قبل عدة سنوات إلى هناك لكنني أضعته، ولم أعرف أين كان يذهب تحديداً في تلك الصحراء.

ولكن مع مرور السنين، وبعد أن أصبح كبيراً في العمر، صار يعتمد على ابنه حاييم في إيصاله إلى هناك، وفي إتمام أعماله السحرية أيضاً... وبعد الاستعانة بأحد سكان منطقة النقب الصحراوية، وهو أخ أسير كان معي في المعتقل، تمكنا من نصب كمين في الصحراء، وما إن حانت الساعة حتى قمنا باعتقال واختطاف حاييم ووالده يعقوب، ثم قمنا باقتيادهما إلى بيت كنا قد أعدناه لسجنهما به، وللتحقيق معهما أيضاً.

ما إن وصلنا إلى هناك وقمنا بفك العصابة عن عينيها حتى عرفني حاييم
وعرفني أيضاً أبوه يعقوب الشيطان.. فقال حاييم: ماذا تريدان منا؟

قلت: نريد الكثير الكثير، فلا تستعجل فأمامك أيام وأسابيع طويلة حتى
تعرف ما نريد، أو حتى تعطيني كل ما لديك من أجوبة عن أسئلتى الكثيرة.

قال حاييم: هل ستقوم بقتلنا؟

قلت: هذا شيء مؤكد بإذن الله عز وجل، أما الشيء غير المؤكد بعد فهو
كيفية قيامي بذلك، فأنا محتار جداً بين حرقكما وانتما أحياء- كما كان يفعل
الأوروبيون مع السحرة قديماً- وبين دفنكم أحياء في إحدى الحفر في الصحراء
لكي تموتا على مهلكما، لعل شياطينكما تأتي لكي تساعدكما، أو أن أقوم بخنقكما
كما فعلت مع شاؤول ودافيد من قبل.

قال يعقوب: لقد كنت متأكداً أن شاؤول ودافيد قتلوا على يد أحد ما، ولم
يموتا بشكل طبيعي.

قلت: نعم هذا صحيح، أنا الذي نذت بهما القصاص، لأنهما قتلوا الكثير
من المسلمين بسحرهم وشعوذتهم، مثلك ومثل ابنك حاييم تماماً، ولقد حان
وقت تنفيذ القصاص بكما، ولكن بعد أن تجيباني عن أسئلتى أولاً.

بعد أن أنهيت حديثي معهما وبدون أن أسألها أي سؤال، تركتهما لعدة أيام
في ذلك المنزل، إلا أنني وبناءً على نصيحة عدنان، جعلت كلاً منهما في غرفة
بعيداً عن الآخر، فلقد كان عدنان الأسير المحرر ذو خبرة في التحقيق مع العملاء
والجواسيس من خلال عمله في صفوف المقاومة، ولذلك ولأنني أوّمن أن الحجر
الصغير في مكانه الصحيح يساوي جبلاً، قررت أن يتولى عدنان موضوع التحقيق
بشكل كامل. أما أنا فلقد اكتفيت بإعداد الأسئلة التي أريد إجاباتها.

كان أول سؤال سأله عدنان ليعقوب بعد أن حان موعد التحقيق معه كالتالي:
عدنان: لماذا خطفت وقتلت الفتاة الصغيرة التي كانت تسكن في المنزل المجاور
لمنزلك؟ ذلك المنزل الذي كنت تستخدمه وكرأ لك وشياطينك قرايبنهم وجيفهم.
يعقوب: أنا لا اعرف شيئاً عما تسألني عنه!.

عدنان: لكن ابنك حاييم قال لي إنك أنت من خطف الطفلة، وأنت أيضاً من
قتلها، اليس ما قاله ابنك حاييم صحيح؟ أجب.. قل.

يعقوب: لا هذا كذب، الذي خطف الفتاة من فناء منزلها هو حاييم، أما الذي
قتلها فهو ابن عمي دافيد.. دافيد الذي قتله خالد العطار.

عدنان: أنت تكذب، أنت الذي قتلت الفتاة لكي ترهب أهلها وتجعلهم يتركون
المنزل لكي تعيث به فساداً أنت وشياطينك.

يعقوب: لا لست أنا إنما دافيد هو الذي قتلها لكي يتقرب من الشياطين
عبر ذبحه لها، ولقد وعد دافيد حاييم أن يعلمه السحر إذا ما قام بخطف تلك
الفتاة وإحضارها له داخل قبوه.

عدنان: إذا الفتاة مدفونة في قبو منزل دافيد كما تقول.

يعقوب: لا، أنا لم أقل إنها مدفونة في قبو منزل دافيد، وإنما قلت إن دافيد
وبمساعدة حاييم قتلها داخل القبو.

عدنان: وبعد ذلك ماذا فعلا في جثة الطفلة المسكينة أيها الشيطان القذر؟
يعقوب: لقد أخبرني حاييم أنهما قطعاً جسدها إلى عدة قطع ووزعها في
باطن عدد من الأقبية الموجودة في الأنفاق التي توجد أسفل الهيكل المقدس.

عدنان: تقصد.. أسفل الهيكل المزعوم.. الهيكل الكاذب الذي ابتدعتم قصته
حتى تجعلوا يهود العالم يهاجرون إلى فلسطين، ولتطردوا أهلها وتشرذوا شعبها

في مخيمات اللجوء.. تلك الأنفاق التي حفرتم العشرات منها بحجة البحث عن آثار تعود لهيكلكم المزعوم، ولم تجدوا أي أثر، ولم تجدوا أي دليل يثبت أن هناك هيكلأ أصلاً. يعقوب: أنا لم أقتل تلك الفتاة... حاييم هو الذي خطفها ودافييد هو الذي قتلها. بعد ذلك تركه عدنان وتوجّه إلى مكان وجود حاييم، وسأله عدة أسئلة بعد أن أصبح متأكداً من أن حاييم هو الذي قتل تلك الطفلة مع عمه دافييد.

عدنان: لماذا قتلت الفتاة بعد أن خطفتها من باحة منزلها الذي يقع جوار منزلكم؟ حاييم: أنا لم أخطف ولم أقتل أحداً قط...

عدنان: لكن أباك يعقوب اعترف عليك بذلك، قل لي ولا تراوغ لماذا قتلت تلك الطفلة؟

حاييم: لقد قلت لك أنا لم أقتل أحداً، ولم أخطف أحداً، وإن أبي يكذب عليك، لينجو هو من الموت.

عدنان: ليس أبوك وحده من قال لي إنك أنت الذي خطفت وقتلت الطفلة، بل هناك شخص آخر أعرفه جيداً وهو عمك دافييد، الذي قال لخالد العطار قبل موته إنك أنت من خطف الفتاة وأنه هو من ساعدك على قتلها في قبو منزله، ألا تذكر؟ في قبو منزله.

حاييم: إن أبي ومن بعده عمي دافييد يكذبان، فأنا لم أفعل أي شيء للفتاة، لم أخطفها ولم أقتلها.

عدنان: إذا من الذي خطفها وقتلها؟ قل لي لعلك تنجو من الموت، فنحن نقيم الحد والقصاص على القاتل فقط، وبما أنك لست قاتلاً فلن نقتلك أبداً، وأقسم لك على كتاب ربي بذلك.. ولكن لماذا يتهمك أبوك وعمك بهذه التهمة؟ قل لي عن السبب لعلك تنجو من الموت حرقاً وأنت حي.

حاييم: إن والدي وعمي أراداني أن أتعلم السحر، وكنت أرفض ذلك ولكنهما أصرا على ذلك، وقالوا لي إن عمي دافيد لم يتمكن من الإنجاب، وأنني أنا وحيد والدي، ولذلك يجب عليّ أن أتعلم السحر لكي أكون امتداداً لهما، ولكي نتمكن معاً من...

عدنان: من ماذا؟.. من ماذا يا حاييم؟ قل إن أنت أردت النجاة من الموت حرقاً وأنت حي، والله العظيم إن لم تقل الحقيقة كاملة سأحرقك الآن، وعندها تذكر وأنت تشتعل أنك أنت من فعل بنفسه ذلك، لأنك لم تجبني عن السؤال... لكي نتمكن معاً من ماذا يا حاييم.. قل.. قل.

حاييم: يريدون مني أن أساعدهم على إرضاء الشياطين من أجل أن نتمكن نحن اليهود من هدم المسجد الأقصى، لكي نقيم بدلاً منه هيكلنا المقدس.

عدنان: وكيف تساعدكم الشياطين على ذلك، فأنتم تملكون الدبابات والجرافات والمتفجرات أيضاً، فما حاجتكم إلى الشياطين والجان؟

حاييم: لا أدري فتلك أسرار ما زلت لا أعرف أجوبةً عليها، رغم أنني سألت عمي وأبي إلا أنهما رفضا أن يقولوا لي أي شيء، واكتفيا بالقول: ما زلت صغيراً، وإن علي أولاً تعلم كل أصول السحر، وطرق إرضاء الشياطين، وبعد ذلك سوف تخبرني الشياطين بما أريد أن أعرفه.

عدنان: إذاً أبوك هو الذي قتل الطفلة، وعمك معه، أما أنت فماذا فعلت؟ صحيح أنك كنت في تلك الفترة ما زلت طفلاً ولذلك استدرجتها ثم خطفتها.. هذا صحيح؟ قل يا حاييم، فالخطف لا نعاقب عليه بالموت حرقاً.. قل هل هذا ما فعلته حقاً.. فقط الاستدراج والخطف؟

حاييم: نعم.. نعم خطفتها.

عدنان: وكيف تم ذلك؟.. قل، قل وبالتفصيل حتى أفهم، فأنا من ذوي الفهم البطيء جداً.

حاييم: لقد كانت الطفلة تسكن في البيت الذي يجاور بيتنا، ذلك البيت الذي كنت ألقى داخل حجره وقبوه الذبائح والقرايين التي كان والدي وعمي يذبحانها تقريباً للشياطين والجان، وعندما سكن والدي الطفلة؛ أراد والدي طرد الرجل وزوجته من المنزل، حتى نعاود إلقاء القرايين داخله، فلقد كانت الشياطين والجان تحب ذلك المكان كثيراً، وهي التي قامت باختياره بنفسها، فذلك البيت كان بيت مسلم فاسد فاسق.

عدنان: هذا كله نحن نعرفه، ولكنني قلت لك أريد أن أعلم كيف قمت باستدراج الطفلة؟ قل يا حاييم قل..

حاييم: لقد صعدت على السور الفاصل بين بيتنا وبيت الطفلة، وعندما رأيتها تلعب في باحة المنزل، طلبت منها أن تصعد على السلم لكي أعطيها بعض الحلوى.. هكذا طلب مني والدي أن أفعل وأن أقول... ولقد صعدت عبر السلم الخشبي، ثم سحبتها نحوي إلى الجهة الثانية من السور، إلى داخل منزلنا، وبعد ذلك سقاها أبي وعمي ماءً فيه عشبة منومة فنامت على الفور، ووضعها داخل كيس ثم أخذها إلى منزل عمي دافيد، وهناك في القبو قاما بذبحها.

عدنان: كيف ذبحا الطفلة؟ قل كل شيء بالتفصيل الممل، فأنا فهمي ضعيف واستيعابي قليل.

حاييم: لقد أمسكا برقبته ونحزاها بالسكين.

عدنان: قلت لك بالتفصيل ألا تفهم.. بالتفصيل.

ظل حاييم صامتاً لا يقوى على الكلام، خائفاً مرتعباً لدرجة أنه تبوّل على نفسه من شدة خوفه من عدنان.. أما أنا كنت أشاهد ما يجري بصمت، فلقد كان عدنان قادراً - بفضل الله - على جعل الحقيقة تظهر، وقادراً على الإمساك بالخيوط التي يتراقص عليها كل من حاييم ووالده يعقوب.

ترك عدنان حاييم وعاد إلى والده يعقوب لكي يدير جولة جديدة من التحقيق معه حول جرائمهما الشنيعة.

عدنان: لماذا قمت بنحر الطفلة؟ ولم تقم بخنقها، فلقد كانت مخدرة ومنومة بالعشبة التي وضعتها لها بالماء؟.. نحرتها أنت إذاً وليس دافيد أو ابنك حاييم، وماذا فعلت بدمها؟ دمها الذي نرف بعد نحرها وكأنها ذبيحة.. ذبيحة وليست طفلة بريئة قتلت بلا ذنب.. بل نحررت دون ذنب، أقسم بالله العلي العظيم إن لم تقل لي تفاصيل ما فعلتموه لأحرقنك الآن بالنار.. وأنت حيّ.

لم ينتظر عدنان جواباً من يعقوب، بل قام بصب وقود البنزين على رأسه وصولاً إلى كافة أنحاء جسده، وهو مكبل على كرسيه مغمض العينين بعصابة وضعت عليهما.. عند ذلك خرج من جوف يعقوب صوت مكتوم مخنوق باكياً نائحاً كأنه ذبيح تخرج روحه من جسده.

يعقوب: سأقول لك كل شيء وبشكل مفصل بشرط ألا تحرقني بالنار، اخنقني أو أطلق الرصاص عليّ إذا ما أردت قتلي، عدني بذلك.. وأقسم بالله.

هنا تكلمت أنا بعد أن أشرت بيدي لعدنان بأن يسكت، وقلت: أي إله ذلك الذي تريد منا أن نقسم لك به؟ الله الذي نزل القرآن الكريم وقمتم أنتم بحرق مساجده في مختلف مدن الضفة الغربية والقدس المحتلة، أم الذي دنّستم قرآنه وألقيتم به في جوف الحمامات وبيوت الخلاء.. ألم تحرقوا مصاحف الله عندما حرقتم مساجده، هل تريد أن نقسم لك بهذا الإله، أم هناك إله آخر تريد أن نقسم به؟

نحن مسلمون، ونبينا محمد ﷺ، محمد إلا تذكر كيف قام ساحركم عليه لعنة الله عز وجل لبيد بن الأعصم، ابن بني زريق بصنع سحر لنبينا رسول الله الذي تريد أن نقسم لك به؟! أنقسم لك بمن كفرتم أنتم به، وبمن قتلتم الكثير من أنبيائه ورسله!.

لن نقسم لك، فأنت كافر فاجر عبدٌ للشيطان، ولماذا لا تدعو شياطينك وإبليس وذريته لكي يساعدوك وينجوك من بين أيدينا ومن ثم إلى جهنم فسوف تصلى بها بإذن الله عز وجل تُصلى وتتعذب بها ... قل ما عندك، وسنجعلك تموت ميتةً سريعة إن صدقت، فالصدق وحده سينجيك من الحرق.

بعد ذلك أشرت للمقاوم عدنان لكي يواصل تحقيقه مع ذلك الشيطان يعقوب لعنة الله عليه، وعلى كل ساحر فاجر...

عدنان: تكلم لماذا نحررت الطفلة نحرأ؟ ومن منكم الذي قام بنحرها؟ قل فلقد وعدك خالد العطار أن يكون موتك سريعاً وغير مؤلم... وعلى أي حال، فعذاب الله عز وجل في انتظارك فلا تعلق... فنحن مطمئنون لقصاص الله منك.

«حاييم.. حاييم هو الذي نحر الطفلة، ولست أنا، قال يعقوب.. أنا كنت أشاهد فقط ما يحدث، كان المطلوب أن يقوم حاييم بنفسه بذبح الطفلة، حتى يتقرب هو من الشيطان، فلقد ذبح حاييم الطفلة، وقام بعد ذلك عمه دافيد بصب الدماء التي نزفت من جسد الطفلة على رأس حاييم، ولقد مكث حاييم ثلاثة أيام بجوار جثة الطفلة وهو ملطخٌ بدمائها.. وبعد ذلك قطع دافيد وحاييم جسد الطفلة ووزعوه على الأقبية التي في الأنفاق الموجودة أسفل مدينة القدس، ثم بعد ذلك اغتسل حاييم من دماء الطفلة بماء موجود في أحد تلك الأقبية السفلية، ومنذ ذلك اليوم أصبح ذلك القبو هو مكان تقرب حاييم من شيطانه كبير الجان المكلفين بخدمة حاييم، وإطاعة أوامره.

فنحن نتقرب من الشيطان بطرق عديدة وكثيرة، ولكن ذبح الطفلة كان أفضل الطرق للتقرب من الشيطان الكبير، فالطفلة ما تزال صغيرة وهي مسلمة، وهكذا حرمتنا المسلمين من طفلة سوف تصبح أمأ، ويصبح لها أطفال وبنات يعبدون الله.. وهذا ما لم يكن يريده الشيطان، ولا نحن أيضاً.

في تلك اللحظة، كدت أن أقوم بإشعال الوقود الذي يبئّل ذلك الشيطان.. أراد عدنان أن يسبقني لفعل ذلك، إلا أنني أشرت عليه ألا يفعل، ووجهت السؤال إلى يعقوب، وقلت له: وأنت من قتلت لكي تتقرب من شيطانك؟

يعقوب: أنا لم أكن هنا في القدس عندما تعلمت السحر، فلقد ولدت في المغرب، وهناك علمني والدي السحر، وهناك أيضاً اختطف والدي طفلاً مغربياً مسلماً، وقيمت أنا بنحره وتلطّخت بدمه للتقرب من الشيطان.. الشيطان الذي وكّل لخدمتي عدداً كبيراً من الجان لكي ينفذوا لي أعمال السحرية، ولقد أقيت بالطفل في إحدى المغائر في الصحراء، حسبما طلب الشيطان مني أن أفعل. وحتى دافيد كان هناك معي في المغرب، ولقد فعل كما فعلت أنا تماماً.

خالد العطار: لماذا كل ذلك، ما الذي سوف تستفيدونه من تقريكم إلى الشيطان، ومن تسخيره للجان لكي يخدموكم، هل السحر هو وحده سبب فعلكم لتلك الأفعال أم ماذا؟

يعقوب: السحر ومعصية الله، هما هدفنا من وراء ذلك، فنحن والشيطان نريد أن يُهدم المسجد الأقصى، هذا هو هدفنا، وهو ما نسعى إليه، فالشيطان لا يريد للأقصى أن يبقى قائماً، ونحن نريد مساعدته كي نقيم مكانه هيكلنا المقدّس.

خالد العطار: لماذا كل هذا الحقد والكره الأعمى؟ اعلم أيها الشيطان ويا عابد الشيطان أنك لن تستطيع وحدك ولا مع شيطانك أن تهدم المسجد الأقصى.. ليس لأنني سوف أحميه، وإنما لأن للمسجد الأقصى ربّ يحميه وينجيه من كيدك وكيد إبليس لعنة الله عليه وعليك.

للقدس كما للكعبة ربّ يحميها، ويرسل طيور الأبايل لكي ترجمكم بحجارة من سجيل، كما فعل عندما حضر أبرهة الأشرم فوق فيلته ليهدم الكعبة...

فرجم بحجارة من سجيل ودُحِر بحمد الله.. وأنا اليوم أقول لك: إنني أحمد الله عز وجل على كل شيء، وعلى كوني أنا من سيقْتَصَّ منك على أفعالك الشيطانية كلها. تركت يعقوب، وعدتُ وعدنان إلى مكان وجود ابنه الشيطان الصغير حاييم، وهناك سألته عن عدد الأنفاق التي حفرت تحت المسجد الأقصى من قبل اليهود الصهاينة، وتركت عدنان يتولى توجيه الأسئلة لحاييم، لأنني كنت قد وصلت إلى حالة شديدة من الغضب، فأردت أن أصلي لله عز وجل لعل نفسي تهدأ، ولعل السكينة تعود إلى قلبي وروحي... التي كانت تتألم.

عدنان: كم عدد الأنفاق التي حفرها الصهاينة اليهود تحت المسجد الأقصى؟
حاييم: صدقت أنني لم أقتل الطفلة... وأن الذي قتلها هو والدي وعمي دافيد؟
عدنان: نعم صدقت.. ولكن هل صدقت أنت أن نَحْرَكَ للطفلة وتلطبخك بدمها لمدة ثلاثة أيام وتقطيعك إياها، ثم توزيعك لأشلاء جسدها على أقبية الشياطين تحت المدينة المقدسة، هل صدقت أن فعلك هذا سوف يمر بلا عقاب؟
كان صوت عدنان عالياً جداً، يشبه الصراخ، فسمعتُه وأنا أصلي، وشممت رائحة الوقود وهو يُصب على جسد حاييم، وبعد ذلك سمعت صوت حاييم يبكي ويتوسل لكي لا يقوم عدنان بإشعال النار به.

قرأت التَّشْهَد وسلمت يميناً ويساراً، وعدت إلى الغرفة التي كان بها كلٌّ من عدنان والشيطان حاييم، حمدت الله عز وجل أن عدنان لم يفقد أعصابه ويقوم بحرق حاييم، فلقد كنت أريد معرفة الأمور الكثيرة التي تدور في باطن الأرض المقدسة في أنفاق شياطين الهيكل المزعوم... فوردخولي سألت حاييم: تكلم وأجب وإلاّ ليس هناك سوى النار، فلقد أصبح جسديك غارقاً بالوقود القابل للاشتعال.

حاييم: أنا الذي نحرت الطفلة، ولأنتي إن لم أفعل؛ خنقتني الشياطين في الليل وأنا نائم، فلقد جاءتني الشياطين في منامي، وطلبت مني أن أستجيب لطلب والدي وعمي دافيد، بأن أنحر طفلة فلسطينية مسلمة حتى أصبح ساحراً، ويصبح لي من الجان عدد كبير من الخدام، وإلا فإن الشيطان سوف يخنقني.

عدنان: ولماذا لا يحميك أبوك من الشياطين، وليس أبوك ساحراً ومشعوذاً كبيراً، وعمك أيضاً، لماذا لم يحمياك من الجان؟ أجب، فقد نفذ صبري، قل يا ابن الشيطان لعنة الله عليك وعلى أبيك إبليس.

حاييم: لا والدي، وحتى عمي دافيد، يستطيعان حمايتي من الشيطان ولا أي أحد آخر.

عدنان: الله عز وجل يستطيع حمايتك، لماذا لم تتب إلى الله؟ وعندها يكف الشيطان عن أذيتك أو حتى عن خنقك كما قلت...

حاييم: أنت لا تعرف كيف هي العلاقة بين الساحر وبين الشيطان، هذه العلاقة معقدة جداً، وهي مترابطة، فكل من الساحر والشيطان متفقان بحيث يقوم الساحر بالعديد من الأمور الشركية بالله وبأعمال الكفر الصريح والعلني، وإن لم يستطع فإنه يقوم بهذه الأمور بشكل خفي، وعندما يقوم بتلك الأمور الشركية والكفرية بالله، فإن الشيطان يسخر من يقوم بخدمة الساحر من الجن، وكلما كانت أعمال الساحر الكفرية والشركية أكثر وأكبر، كان الشيطان أكثر خدمة له وإطاعة لأوامره، أما إذا تمكّن الساحر من التقرب من أحد زعماء الشياطين أو الجان، فعندها سوف يملك الكثير من الجان في خدمته وتحت تصرفه.

عدنان: يعني أن الساحر كلما كان أكثر شركاً وكفراً، يحصل على خدمات أكثر من الشيطان والجان.

حاييم: إن الساحر يتوقف عن عبادة الله بمجرد بدئه تعلم السحر، ثم يتحول إلى عبادة إبليس عبر التقرب له، والاستعاذة به من دون الله، أما إذا أراد الساحر العودة إلى دنياه الطبيعية، وترك السحر، فإن الشياطين تؤذي الساحر وتؤذي أهله وأولاده، فالكثير من أولاد السحرة يموتون في بطون أمهاتهم بمجرد غضب الشيطان على الساحر، والكثير يموتون خنقاً أو انتحاراً بفعل الشيطان وغضبه القاتل.

عدنان: ماذا نحررت الطفلة ولم تنحر للشيطان خروفاً أو دجاجة مثلاً، أو تقوم بأعمال كضرية عادية، لماذا نحر الطفلة؟

حاييم: أنا أنتمي إلى عائلة من السحرة، تعمل في هذا المجال منذ مئات السنين، ولذلك كان عليّ أن أقوم بما قام به والدي ومن قبله جدي وهكذا، فكلهم نحرروا أطفالاً لكي يتقربوا من زعيم الجان والشيطان الأكبر.

عدنان: إذا أنتم عائلة من القتلة أباً عن جد..

نظر إليّ عدنان متسائلاً عن السؤال التالي الذي أريد منه أن يطرحه على حاييم، فقررت عندها أن أقوم أنا بسؤال حاييم، وخاصة أن هذا الشيطان أصبح طوع أمرنا وتوقف عن المراوغة، ولذلك سألته وقلت...

خالد العطار: لماذا أحرقتكم المكتبة ومن منكم هو الذي قام بتلك الفعلة الدنيئة؟

حاييم: أحرقتها لأنها كانت تزج الجن، ولأن الشيطان طلب ذلك مني، وهذا الذي إن لم أطعه في ذلك فإنه سوف يصيبني بعذاب شديد في رأسي.

خالد العطار: ومن الذي نفذ عملية الحرق بيديه؟

حاييم: إنه واحد منكم مسلم اسمه زهير، وبدون أن تسألني عن سبب إقدام زهير على حرق مكتبة قرآنكم، فسوف أقول لك ما تريده وبالتفصيل أيضاً...

لقد كان زهير هذا مسلم بالاسم فقط، ولكن في الباطن كان أكثر كفرةً منا، فهو ساحر صغير علمناه السحر، ولذلك فهو يقوم ببعض الأعمال التي لا نستطيع نحن القيام بها.. فزهير مسلم اسماً، وهو شيطاننا المطيع سراً، أي إنه ساحر مثلنا مثله، لكنه يعمل بشكل سري.

خالد العطار: إن كنت تكذب فسوف تُحرق بالنار، ولن تكون ممتلك سريعة، سوف أحضر زهير هذا وسوف أحقق معه، وسوف تظهر صحة كلامك من عدمه. حاييم: أنا ميت ميت، فلا داعي لأن أكذب عليكم، فلقد كان بإمكانني أن أقول إنني أنا من أحرق المكتبة وتنتهي الحكاية عند هذا الحد، ولكني أردت أن أكشف لكم عما لا تعلمون، هل تعلم أن والدي يعقوب هو الذي زج بك في السجن لمدة عامين؟ هل تعلم كيف فعل ذلك؟ طبعاً لا تعلم، ولذلك سأعلمك كيف حدث ذلك...

لقد طلب والدي من أحد الجنرالات الذي يترددون عليه من أجل الحصول على أسحاره بأن يبعده عن طريقه، وأن يزج بك في السجن، وهكذا قام الجنرال بزجك خلف أسوار السجن بلا تهمة سوى أن والدي أراد عقابك على إعادة إعمار بيت الجان وتحويله إلى مكتبة إسلامية.

فلقد حاول والدي مرات عديدة، ولقد حاولت أنا أيضاً أن نصيبك بسحرنا وبأعمالنا الشيطانية، إلا أن الجان الذي كنا نسخره لعملنا ذلك، كان يعود خائباً دون أن يتمكن منك، ولقد كان يقول عند عودته: إنك عصي على السحر، وأنتك محصن بشكل لا يمكن لأي شيطان أو جان اختراقه... ولقد حاولنا أيضاً أذية جدك وأبيك وأهل بيتك، إلا أننا لم نستطع، فأنتم عائلة عصية على الإصابة بالأسحار. عدنان: إذاً لذلك لم تحضر جنك حتى الآن لإنقاذك وأباك؛ خوفاً من خالد العطار. خالد العطار: هل الجان موجودة الآن هنا بيننا؟ قل يا حاييم...

حاييم: لقد حاولت منذ أن وصلت إلى هنا أن أستعين بالجن والشياطين، لكنني لم أتمكن من ذلك، رغم أنني أقسمت على الشيطان باسمه الأكبر، إلا أنه لم يستجب لي ولم يحضر لنجدتي.

عدنان: اتركنا من هذا الآن، ولنعد إلى السؤال السابق، كم عدد الأنفاق التي حفرتوها تحت المسجد الأقصى وبيت المقدس؟ ولماذا قمتم بحفرها؟ أجب يا ابن الشيطان.

حاييم: لا أعلم ما هو عددها، فقد أصبحت كثيرة جداً، أما ما أعلمه هو أنها حفرت لأسباب عديدة، ولا يهمني منها سوى أن لي بداخلها دهليزاً يؤدي إلى قبو خاص بي، لكي أمارس به عبادتي وتقربي من الشيطان.

طلبت من عدنان وصديقنا ابن منطقة النقب الصحراوية الخروج من الغرفة، وذهبنا لنجلس فوق سطح الدار لكي نقرر ما الذي سنفعله بهذين الشيطانين... فاستقر رأينا على أن نقلهم قصاصاً على ما فعلاه بالطفلة، وبغيرها من أطفال المسلمين.

ولقد اقترح ابن النقب بأن ندفن جثتيهما في مكان ناءٍ ويعيد في وسط الصحراء، لكي لا يتمكن أحد من الوصول إليهما، أما سيارتهما فاتفقنا على أن نقوم بتقطيعها عبر آلات القص إلى قطع صغيرة جداً ثم نلقي بها في محلات الخردوات «محلات بيع الحديد».

وما إن حلّ المساء، حتى اصطحبنا المشعوذين إلى قلب الصحراء، وهناك قمت أنا بخنقهما حتى الموت، ثم قمنا بدفنهما في حفرة عميقة في باطن الأرض، وبعد ذلك عدنا إلى البيت لنبدأ بتقطيع أجزاء السيارة، ولقد استغرق ذلك العمل منا نحو يومين كاملين من العمل المتواصل.

وبعد الانتهاء من عملية التقطيع، وإزالة الأرقام التسلسلية الخاصة بالمحرك وجسد السيارة، بدأنا بإلقاء القطع في مناطق مختلفة. عاد بعد ذلك صديقنا ابن النقب إلى أهله، وعدت أنا وعدنان إلى مدينة القدس.. عدت وأنا محمل بأجوبة كثيرة عن الأسئلة التي كانت تدور داخل راسي، ورغم أنها أجوبة إلا أنها قد فتحت المجال لكي أخرج بتساؤلات أخرى كثيرة جداً.

فقد سألت نفسي عن سبب كره هؤلاء اليهود لنا، وسبب تحوّلهم للتحالف مع شياطين الهيكل المزعوم... هل يريدون فقط هدم بيت المقدس؟... ألم يكتفوا بكونهم أسياد الفساد والإفساد في كافة أرجاء الأرض؟... ألا يكفيهم كمّ الدماء التي أسالوها من شهداء الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين؟ ومن دماء المسلمين والعرب في مصر والأردن ولبنان وغيرها من البلدان؟.

أم أن حقدهم الأسود أصبح هو من يحرك أجسادهم بعد أن رهنوا أنفسهم للشيطان، ذلك الشيطان الصغير حاييم قد أعطاني مجموعة كبيرة من أسماء السحرة الفجرة في القدس، وغيرها من مناطق فلسطين المحتلة، بل وحتى خارج فلسطين، هناك في المغرب وتونس وغيرها من أماكن مختلفة في أرجاء المعمورة.

بعض تلك الأسماء كانت لأشخاص لم أكن أتخيل أنهم من أتباع الشيطان وسحرته، بعضها كان أيضاً لعرب مسلمين باعوا دينهم وعبدوا الشيطان الرجيم... أسماء كثيرة وعناوين أكثر كانت بحوزتي، ولكن كنت أشعر رغم كثرة الأسماء الشيطانية أنني - بفضل الله عز وجل - أقوى منهم جميعاً، فانا مع الله ومن كان مع الله فلا غالب له... ﴿وَتَمَكَّرُونَ وَيَمَكِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾... وصلنا أنا وعدنان إلى المدينة فودعته واهترقنا كل إلى حال سبيله، كي لا نشير الشبهات حولنا.. وصلت إلى بيتي، حيث أخفيت الأسماء التي كانت بحوزتي في مكان آمن لا يعلمه سواي وعالم الغيب والشهادة رب العالمين.

لم أقصّ على جدي ما حدث، ولن أقص ما حدث على أي شخص آخر، هذا ما تعاهدت عليه مع عدنان ومع ابن النقب، تعاهدنا على أن نكتم ما حدث ونلقي به في أعماق بئر النسيان.

عندما طال غياب يعقوب وولده حاييم عن المدينة كثيراً، بدأت قوات الاحتلال بالبحث عنهما وبالتحقيق مع كل من كان له صلة بهما.. فلم يتوصلوا إلى أي خيط يوصلهما إلى معرفة ما حدث، وعندها قامت أجهزة أمن الصهاينة بحملة اعتقالات عشوائية شملت العشرات من شباب مدينة القدس من فلسطين.

وبالتأكيد كنت أنا وعدنان من بين المعتقلين أيضاً، ولم تسلم منازل كل من تم اعتقالهم من التفتيش والتخريب على يد تلك القوات المحتلة، التي عاثت خراباً وتكسيراً في أرجاء البيوت والدكاكين الخاصة، وصولاً إلى دكان جدي إبراهيم العطار، حيث قاموا بقلب محتوياته رأساً على عقب.. فاختلطت كافة أنواع الأعشاب والعطارة بعضها ببعض، مما أدى إلى خسارة كاملة للكثير مما كان يحتويه محل جدي من مواد عطارة.

فوائد المحن .. وعثرات الزمن

تمّ الزج بي أمام مسؤول التحقيق الصهيوني في مركز التوقيف والاعتقال، هناك تعرّضت إلى عدة جلسات للتحقيق على يد ذلك المسؤول، وكان وجه الشبه في تلك الجلسات هو التعذيب المستمر الذي لم ينقطع أثناء وجودي في التحقيق... لم يكن المحقق يملك أي خيط أو أي تصور يقوده إلى فك لغز اختفاء يعقوب وابنه حاييم، ولذلك اعتقل عدداً من جيرانه ومن أولئك الذين جرى بينه وبينهم مشاكل في الماضي، وهم كُثر، فلقد كان يعقوب وابنه مكروهين جداً في أوساط أهل المدينة.

كنت أسمع وأنا في قبو التحقيق صراخ الشباب وهم يعذبون على أيدي المحققين، وكان الشباب أيضاً يسمعون صوتي، ذلك الصوت الذي يخرج جراء تعذيب الجسد، صحيح أن جسدي كان يتألم إلا أنني كنت أشعر بالانتصار لأنني تمكنت من تطهير القدس المحتلة من أربعة من أتباع الشيطان ومن شياطين الهيكل المزعوم.

وكنت فخوراً أن ما قمت به قد تم دون أن يكشف، لا من قبلي ولا من قبل عدنان، وكانت أسئلة المحقق تدل على ذلك، فهو مثل التائه في الصحراء لا يستطيع الخروج منها، ولذلك كان يريد من تعذيبه لنا أن يتمكن من العثور على الطريق لكي يغادر متهاته.. ولكن- ويفضل الله عز وجل- تمكنا من النجاة من بطش الصهاينة في أقبية التحقيق.

وبعد عدة أسابيع من فشل المحققين في الحصول على أجوبة عن أسئلتهم، تم اقتيادي أنا وعدنان وآخرين إلى المعتقل، حيث كان إخواننا الأسرى بانتظارنا، وكانت أصداء قضية اختفاء المشعوذين قد انتشرت في كافة أرجاء فلسطين، وفي السجون أيضاً.

بعد أيام من دخولي إلى المعتقل استعدت- بفضل الله عز وجل- صحتي وعافيتي التي كنت قد فقدتها في أقبية التحقيق وأصبحت على أفضل حال وأحسن صحة. كان اللقاء بعدنان في المعتقل فرصة ذهبية هيأها الله جلّ وعلا للتنسيق والعمل، فاتفقنا على أن نشكل وحدة خاصة نقودها معاً للتصدي لمن كانت أسماؤهم قد أصبحت معروفة لدينا من أولئك السحرة الفجرة أتباع الشيطان. هذه الوحدة كانت من مقاومين شارفت محكومياتهم في سجون ومعتقلات العدو الصهيوني على الانتهاء، وما إن انتهينا من تشكيل تلك الوحدة الخاصة، حتى تم عرضي وعدنان على المحكمة، وهناك أصدر القاضي حكمه بالسجن لمدة ستة أشهر، وأصدر أيضاً أمراً يقضي بإبعادنا عن المدينة المقدسة لمدة عامين كاملين. وهكذا أمضيت الأشهر الستة في تقوية صلاتي مع رجال المقاومة، وبالإستعداد لجولة جديدة مع شياطين الهيكل المزعوم. وبفضل الله عز وجل مرت الأشهر الستة، وتم إطلاق سراحي إلى مدينة مجاورة للقدس التي منعت من دخولها لمدة عامين. وما إن استقررت في المدينة الجديدة التي كانت قريبة من عبق القدس ودفئها، حتى وضعت أول خطة من خطط العطار المقدسي، وكان أول من قمنا باعتقاله والتحقيق معه «زهير»... زهير هذا لم يكن يثير شكوك أحد قط، فهو مواطن عادي جداً يعمل في مجال شراء وبيع العقارات داخل مدينة القدس والقرى المحيطة بها أيضاً.. لذلك قمنا بإيهامه أنه هناك منزلاً معروضاً للبيع في إحدى القرى القريبة من مدينة القدس، وهكذا حضر إلى المكان، وهناك تم تقييده وتكميم فمه وتعصيب عينيه، ثم اقتدناه إلى منزل قد أعدناه ليكون سجناً ومركزاً للتحقيق معه.

كان منزلاً على أطراف المدينة، مستقلاً وحوله قطعة من الأرض المزروعة بأشجار الزيتون واللوز، وما كان يميز ذلك المنزل هو وجود قبو كبير في أسفله يصلح لاستقبال أولئك الشياطين أمثال زهير وغيره من أتباع إبليس لعنة الله عليهم.

اختلفت معالجتنا لموضوع زهير عن تلك الطريقة التي اتبعناها مع حاييم والدة، لأننا عندما تعاطينا مع هذين الشيطانين كنا نعلم مسبقاً أنهما تسببا في قتل أناس أبرياء، ولذلك كان الحكم عليهما بالقصاص أمراً شبه مؤكد، أما زهير فلم نكن نعلم شيئاً عن نشاطه سوى اعترافات حاييم عليه فقط لا غير، ولم يستطع الإخوة الذين راقبوه عدة أسابيع أن يثبتوا عليه أي شيء سوى كونه تاجراً للعقارات... لذلك لم أكن أعرف من أين سأبدأ التحقق معه، ولا أين سوف ينتهي بنا التحقيق. اقترحت على عدنان أن تكون أسئلتنا لزهير كاملة لعله يزل بكلمة نمسك منها طرفاً لخيط ما.

وهو معصب العينين، مقيدٌ في القبو، سأله عدنان قائلاً: (إيش) يا زهير البطل، أخيراً وقعت وانكشفت أسرارك والأعبيك... ألا يكفيك أنك بعت دينك (وكمآن) تبيع وطنك لأتباع الشيطان؟

اسمع يا زهير: «علشان لا تتعبنا ولا نتعبك، بدي إياك تحكي قصتك بالتفصيل من البداية حتى اليوم..»

اليوم يا زهير لأنه بكره غير مضمون يطلع عليك وإنت حي... خاصة إذا كان كلامك اللي قلته غير مقنع... واحذر المراوغة والتملص..

في تلك الأثناء، بدأ المدعو زهير يبكي بكاء النساء الناحبات على موت عزيز لهن، ثم قال: لقد كنت متأكداً أن دوري قد حان، وخاصة بعد ما حصل مع يعقوب وابنه قبل قرابة العام... ولقد كنت أتوقع أن يتم تصفيتي في أي لحظة، وليس اقتيادي للتحقيق.

رد عليه عدنان: لا تستعجل على موتك وتصفيتك، فكل شيء في وقته المناسب والآن وقت التحقيق.

عندما ذكر زهير خوفه مما حصل مع يعقوب وابنه عندما اختفيا، أدركت أن كلام حاييم كان صحيحاً، وأن زهيراً كان تابعاً لأولئك السحرة الشياطين.. وهذا أراحني لأنني تأكدت من أن عملية اختطاف زهير صحيحة، وأن الأسماء التي بحوزتي للسحرة والمشعوذين الآخرين صحيحة أيضاً.

عدنان: ما دُمتَ ذكرتَ يعقوب وابنه حاييم، اعلم أنهما ما زالا محتجزين لدينا، وهما حيّان يرزقان، ولم نقتلهما بعد، واعلم أيضاً أن حاييم هو الذي اعترف عليك بالتفصيل الممل، ولذلك لا تناور ولا تتحاذق علينا.

نحن أمرنا باعتقالك لأسباب أمنية فقط؛ حتى لا تكشف من قبل أسياذك الصهاينة. هيا تكلم، وقل ما عندك.

زهير: لقد كنت منذ أعوام بعيدة أعمل جاسوساً مع قوات الاحتلال، وكان عملي يقوم على إعطاء جهاز الشاباك الإسرائيلي معلومات عن أبناء مدينة القدس، بقيت بهذا العمل لمدة طويلة، وعندما بدأت الشكوك تحوم حولي، اتفقت مع الضابط المسؤول عني على أن أغير نوعية عملي، وهكذا بدأت بالعمل في مجال شراء الأراضي والعقارات في مدينة القدس، وبالقرى التي تحيط بها.. ولقد كان حاييم أحد زبائني.

في هذه اللحظة، وجه عدنان لطمة قوية على وجه زهير أوقعته أرضاً من على كرسيه، وقال له وهو على الأرض: إذا أنت كنت تقوم بشراء الأراضي من العرب المسلمين بحجة أنك تتاجر بها مع العرب المسلمين، لكنك بالحقيقة كنت تبيعها لليهود من وراء ظهور أصحابها.. أصحابها الذين كانوا يعتقدون أنهم يبيعون منازلهم لشخص مثلهم ومن أهل المقدس... أكمل لعنة الله عليك... أكمل...

زهير: هذا صحيح، و بعثت لحاييم بيتين اثنتين، ولكننا لم نقم بنقل ملكية البيتين لاسم حاييم خوفاً من أن اكشف، ولذلك بقيت البيوت على باسمي، وكتبت لحاييم عقد بيع بالباطن... واتفقت مع حاييم ألا يكشف عن عقد البيع السري إلا بعد سفري خارج فلسطين.

عدنان: ولن غير حاييم بعث أيضاً؟

عندها ذكر زهير اسماً آخر لمن كان قد باع له أحد قطع الأراضي، وهنا توجهت بالسؤال لزهير وقلت له: وماذا عن أعمالك السحرية والشعوذة التي تعلمتها من حاييم؟ هل نسيت أن تتطرق لهذا الموضوع أم أنك أجلته إلى آخر الحديث؟ تكلم... وليكن كلامك مطابقاً لما قاله معلمك الشيطان حاييم، لعنة الله عليك وعليه معاً..

زهير: عندما كنت أعمل في الماضي جاسوساً، كان الضابط المسؤول عني يكلفني بالقيام بزرع أجهزة للتنصت في البيوت التي كنت أستطيع الدخول إليها، وعندما أنهيت عملي في خدمة الموساد، وانتقلت للعمل في مجال شراء وبيع البيوت، كانت تواجهني بعض المشاكل مثل أن يكون الزوج موافقاً على بيع البيت، وأما الزوجة فتكون رافضة لذلك... أو الوالد أو الوالدة.. وهكذا.

ولذلك وبعد أن تعرفت على حاييم، طلبت منه أن يصنع لي بعض الأعمال السحرية لعلني أستطيع دَبّ روح الفتنة والشقاق بين أهل تلك البيوت، حتى أتمكّن من شرائها وإعادة بيعها بعشرات أضعاف ثمنها الأصلي إلى اليهود.

ولقد صنع لي حاييم عدة أعمال سحرية، ولكنني كنت دائماً أطلب منه المزيد، ولذلك اقترح علي حاييم أن أتعلم بعض أنواع السحر وخاصةً سحر التفريق.

خالد العطار: وبأي الطرق تقربت من الشيطان حتى يرضى عنك؟ ويسخر لخدمتك بعض الجن لكي ينفذوا لك أعمالك السحرية القذرة؟

زهير: لقد استعملت الطريقة السفلية فقط، وهي الطريقة التي علمني إياها حاييم.

خالد العطار: وكم مصحفاً دنتت تحت قدميك؟ وكم مصحفاً طاهر دنتت في بيوت الخلاء والحمامات؟ قل وتكلم، فلقد كشف سيدك حاييم كل شيء.

زهير: لقد علمني حاييم هذه الطريقة السفلية، وأكد لي أنه يجب علي كلما أردت إعداد عملٍ سحري، أن ارتدي أولاً في أسفل قدمي قرآناً، ثم أدخل إلى الحمام وأنا ارتدي القرآن، وهناك في الحمام، أقوم بقراءة الطلاسم السحرية، وبعد أن أنتهي أقوم بإلقاء المصحفين في جوف بيت الخلاء، ثم أذهب إلى غرفة مليئة برائحة البخور، وهناك...

خالد العطار: وهناك يحضر الجني لكي تأمره بما تشاء من أعمال السحر والشعوذة، ومن المؤكد أن الجني كان يخدمك بأكثر سرعة ممكنة. أما السبب فلا يعود لك أيها الكافر الفاجر الفاسق، بل يعود للشيطان الزعيم، فضلك الدنيء بالمصحف الكريم الطاهر أرضى الشيطان الرجيم، وهكذا فإن الجان المكلف بخدمتك ينفذ ما تأمره به بكل سرور ورضا، فلقد أرضيت سيده الأكبر. وكم مرة قمت بتدريس المصحف الشريف؟ ولمن صنعت الأسحار الشيطانية؟ أسحار الطريقة السفلى؟

زهير: لقد صنعت العشرات من الأسحار، ودنتت العشرات من المصاحف.

خالد العطار: وكم شخصاً قتلت؟

صمت زهير طويلاً، ولم يكن يقطع صمته سوى صوت بكائه الناحب، وعندها ويدون مقدمات، قام عدنان بسكب مادة سريعة الاشتعال على جسده وقال له عدنان: لقد نفذ صبري منك، والآن إن لم تجب على أسئلتني التي سألتك، لأشعلن النار بك فوراً، والله ثم والله لن ينعني عنك أحد.. فأنت ساحر كافر فاجر، فأجب حتى لا تحرق.

زهير: كان أول وآخر من مات جراء سحري هو والدي، نعم والدي، حين كنت أحاول إقناع والدي ببيع قطعة أرض كان قد ورثها عن أجداده، إلا أنه رفض رفضاً قاطعاً، رغم أنني حاولت إقناعه بشتى الطرق، حيث كان بيعه لتلك الأرض سيجعل مني رجلاً ثرياً وتاجراً كبيراً، إلا أنه فضل الأرض على سعادتي وغناي، فصنعت له سحراً قوياً، ولكنه كان أقوى من اللازم، فمات والدي جراء ذلك السحراً

خالد العطار: وكيف مات والدك رحمة الله عليه، ولعنة الله عليك أيها الفاجر؟

زهير: لقد كان الجني المكلف بإنفاذ السحر يقوم كل ليلة عند ذهاب والدي للنوم بالتضييق على نفسه وخنقه، وكنت أسمع صوت أبي وهو يتألم، وعندما كان يحل الصباح كنت أقول لوالدي أن عليه بيع قطعة الأرض لكي أستطيع إرساله للعلاج في إحدى المشافي خارج فلسطين، وذلك بعد أن عجز الأطباء هنا في فلسطين عن تشخيص حالته المرضية، فلم يكن أحدٌ من الأطباء يتوقع أن يكون جنيّ هو من يسبب الاختناق وضيق النفس لوالدي، إلا أن والدي رفض...

خالد العطار: والدك رفض وشيطانك المطيع وخدمه الجان أقنعوه فأزهقوا روحه وأماتوه.

زهير: نعم، نعم، لكني لم أكن أريد قتله، وإنما إجباره على بيع الأرض فقط. بعد ذلك تركنا زهيراً يبكي وينوح، ولم أسأله عن طريقته في حرق المكتبة... تلك المكتبة التي حرقها بأمر من حاييم الشيطان، لم تعد موضوعاً مهماً على الإطلاق، فهي مجموعة من الحجارة والخشب والكتب احترقت صحيح، إلا أننا قمنا بإعادتها كما كانت بمساعدة جدي وإشرافه عندما كنت أنا في المعتقل... ولكن من ذا الذي سوف يحيي والد زهير الذي قتل بفعل ولده الفاجر ويسحره الملعون؟... ذلك السؤال أدى إلى استنتاج وهو: القصاص... القصاص ولا شيء سوى القصاص، ولأن الحكم الشرعي واضح وقاطع، وهو أن الساحر الذي سحر بكلام وفعل كضري يصبح كافراً، ولا يستتاب ولا تقبل توبته، فهو زنديق كافر وجب القصاص منه وقتله، فكيف الحال هنا مع زهير وقد قتل أباه.. الذي ولده، فالقاتل يقتل.

عدت أنا إلى زهير لإكمال التحقيق معه، وذهب عدنان وأحد الإخوة لكي يجدوا مكاناً نخفي به جثة ذلك الزنديق.

ويعد عدة ساعات أمضيها في التحقيق مع زهير، علمت أن هناك العديد من الأشخاص الذين يدعون الوطنية هم في واقع الأمر، ليسوا سوى عملاء للاحتلال أو سماسرة يقومون بشراء الأراضي من أبناء فلسطين وإعادة بيعها للمحتلين الصهاينة. وفي نهاية التحقيق، كنت قد كونت ملفاً كاملاً عن أعوان ذلك الزنديق زهير... من تجار أراضٍ خونة أو من عملاء لأجهزة الشاباك الصهيوني.

وما إن عاد عدنان حتى أبلغته بما جرى مع زهير، وعندها أدركت أنني قد أدخلت نفسي في دوامة يصعب، بل ويستحيل الخروج منها، فهي مثل ماء البحر المالح، لا يمكن أن يرتوي من يشربه، فيعقوب ويعدده حاييم ثم زهير، كل واحد منهم يكشف عن عشرات من الفاسدين أو من السحرة المجرمين.. وهذا حمل أكبر بكثير مما أستطيع حمله على كاهلي، فأنا مجرد عطار... عطار لا أكثر ولا أقل، فلست مقاوماً مقاتلاً، ولست مؤهلاً لخوض ذلك النوع من المعارك أو المواجهات.

أما عدنان ومن معه من مقاومين مقاتلين، فكانوا قادرين على التعامل مع تلك الأمور بشكل احترافي متمكن، ولذلك احتفظت بأسماء السحرة الفجرة، وقررت أن أواجههم وأتصدى لهم، وتركت موضوع العملاء وتجار الأراضي لعدنان ومن معه.

تركت عدنان مع زهير يحاول استخراج أكبركم من المعلومات منه، وتوجهت إلى ربي عز وجل، فقمت إلى صلاتي وقرأت القرآن، لعل قلبي يهدأ ولعلّ روحي تهناً وترتاح قليلاً.

بعد عدة ساعات، كنت قد تمكنت بفضل الله عز وجل من تصفية فكري وإعادة التوازن إلى عقلي، وما إن تذكرت حديث النبي محمد ﷺ: «إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، (حديث حسن) حتى رضيت بما قسمه الله لي من توجه إلى محاربة قلوب السحرة الفجرة.

دخل علي عدنان، صلى ركعتين ثم قال لي إنه أنهى التحقيق مع ذلك المشعوذ زهير، وأردف قائلاً إنه سيقوم بإعداد مكان القصاص من ذلك الزنديق.

طلبت من عدنان أن يتولّى كل تلك الأمور، فوافق ولكنه قال إن هناك أمراً كشفه زهير يجب عليّ معرفته. وعندها سألتني عن شخص اسمه «سلامة» ولقبه أبو الكرامات، فقلت: إنني أعرف عنه بعض الأمور، لكنني لا أعرفه بشكل شخصي، فأبو الكرامات هذا شخص متدين، وهو يقوم بعمل الرقية الشرعية والعلاج بواسطة الطب الشعبي، وهذا ما كنت أعرفه عن ذلك الشخص.

عندها قال لي عدنان: عندما أعود من مشوار القصاص من زهير سأخبرك بحقيقة أبي الكرامات هذا.

بعد ذلك توجه عدنان بصحبة أخوين آخرين، واقتادا زهيراً معهما، أما أنا فبقيت وحدي في البيت، ولكي لا يشغل بالي، فلقد بدأت أقرأ عن موضوع أصحاب الكرامات والمعجزات، ووصلت في تلك القراءات إلى أن هناك فرقاً شاسعاً بين أصحاب الكرامات والمعجزات، وأصحاب الشعوذات، فالمعجزة مثلاً هي أمرٌ اختص به الله الأنبياء دون غيرهم من البشر، وهي أمر ليس به خلاف على الإطلاق.

أما الفرق بين أصحاب الكرامات وأصحاب الشعوذات، فالكرامات هي للصالحين من عباد الله المؤمنين والمؤمنات، أما ما يأتيه السحرة من أفعال غريبة يظنها الجاهل كرامات، فإنما هي من أفعال الشياطين ليلبس على الناس دينهم، ولكي يشتت فكرهم، ويظنوا أن أفعال الساحر هي أفعال طيبة وأنها كرامات مباركة، وهي في حقيقة الأمر على العكس من ذلك تماماً.

فالكرامة يمن الله بها على المؤمنين الذين اتبعوا الرسل، متوجهين بعبادتهم إلى رب السماوات والأرض بقلوبهم وعقولهم وأرواحهم، وهي لا تعطى إلا لصفوة الصفوة من المؤمنين المتقين.

وهنا أذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: (فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وإنما تحصل عند الشرك مثل: دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان، وأكل المحرمات: كالجيات والزنابير- يقصد الثعابين فهو محرم أكلها- والخنافس والدم وغيرها من النجاسات، ومثل الغناء والرقص لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلاً طويلاً). والمراد: أنه يهتز في ليلة الحاضرة، ولذلك تجد في كتاب الإحياء: أن الإنسان أحياناً يفضل استماع الرقص على سماع القرآن؛ لأنه يقول: إنه يؤثر في النفوس أكثر، وهذا من البدع المنكرة المحدثه، فهو يقول: إن أي مجلس فيه سماع شيطان بهذه الطريقة يكون أحسن في حق أي إنسان حتى ولو وجد في نفسه ما وجد، والأصل: أن يرد هذا الوجد والذوق إلى الكتاب والسنة، حتى يبقى الذوق والوجد صحيحاً، أما إذا وقع في قلبه ذلك وليس على منهاج الكتاب والسنة فلا بد أن يجتنبه. يقول المؤلف رحمه الله تعالى (فيرقص ليلاً طويلاً، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً- من كثرة الرقص- أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه، أو يتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصديّة، ويجد عنده مواجيد، فهذه أحوال شيطانية).

وهكذا فالكرامة هي للولي الصالح، وهي منة من عند الله عز وجل، أما شعوذة الساحر فهي من أعمال الشيطان والجان، يعطونها للشخص الفاسد الفاسق جزاء عمله الكفري.

مشعوذ صاحب كرامات

ما إن عاد عدنان بعد أن أقام القصاص وحقّق العدل في ذلك القاتل لأبيه، حتى عدت أنا إلى الدوامة مرة أخرى، فلقد قال لي بأن زهيراً قد اعترف عن شخص اسمه سلامة أبو الكرامات، وقال زهير إنه ليس سوى مشعوذ يمارس السحر، ويدعي أنه صاحب كرامات من عند الله عزوجل.

اتفقت مع عدنان أن أتولى أنا هذا الموضوع، على أن يباشر هو متابعة تجار الأراضي المتعاونين مع الاحتلال، وأن يتولى أيضاً متابعة أسماء الجواسيس التي ذكرها لنا زهير.

وفي صباح اليوم التالي، ذهب كل واحد منا إلى متابعة ما كلف به من أمور وقضايا.. كان سلامة أبو الكرامات يقيم في إحدى القرى المجاورة لمدينة القدس، ولأنني ممنوعٌ من دخول المدينة المقدسة وقرائها سلكت الطرق الالتفافية والفرعية، وتمكنت بفضل الله عزوجل من الوصول إلى تلك القرية المقدسية.

وما إن وصلت إلى منزل ذلك المشعوذ ذي الكرامات، كما يدعي، حتى وجدت العشرات من الرجال والنساء ينتظرون عند باب منزله لكي يدخلوا عليه، وباركهم وبعالجهم من أمراضهم، تلك الأمراض التي كان جزءٌ منها وهماً ليس إلا، كما ظهر لي وأنا جالس أنتظر دوري ودخولي على صاحب الكرامات.

امرأةٌ لا تنجب تبحث عن دواءٍ لدائها عند سلامة، ورجل يشكو من قلة ماله يبحث عن ثروةٍ عبر بركة يقدمها له سلامة، والكثير الكثير من أصحاب الأوهام المرضية واللوثات العقلية، كلهم يبحثون عن علاج لأوهامهم ولوثاتهم.

كلهم دخلوا على سلامة أبي الكرامات، ووجوههم حزينة ملؤها الأسى والألم، وسرعان ما خرجوا وهم سعداء، يكادون يطربون فرحاً مما حصلوا عليه من بركة وكرامة من أبي الكرامات سلامة.

وحان دوري، فأذن لي بالدخول، وقبل أن أصل إلى الحجرة التي كان يجلس فيها سلامة أبو الكرامات، طُلب مني أن أتبرع بمبلغ من المال، وقبل أن أسأل عن السبب، قيل: هذا المال لإعانة الفقراء والمحتاجين الذين يراعاهم الشيخ سلامة أبو الكرامات. وضعت مبلغاً متوسط القدر فلم يعجبهم، وقالوا لي: إن كنت أريد أن تقضى حاجتي بسرعة فيجب عليّ أن أضاعف المبلغ مرتين أو ثلاث على الأقل، وقالوا أيضاً بأنهم يعذرونني لعدم معرفتي بالأصول المتبعة، وذلك لكوني مرتاداً جديداً على الشيخ سلامة، ضاعفت المبلغ ثلاث مرات كما طلبوا وزدت، فسُمح لي بأن أدخل على شيخهم وسيدهم أبي الكرامات.

ما إن دخلت حتى أشار إليّ بأن اجلس فجلست، فقال: يا ولدي أرى في وجهك همماً وغماً كبيرين، فقل لعلي أفرج همك وازيح غمك... (هو لعنة الله عليه) رأى ذلك في وجهي ويريد أن يزيل همي وغمي... وليس الله عز وجل...

أما أنا، فلقد رأيت مشعوذا مذموماً، أسود الوجه من شدة الكفر والضجور، رأيت جمراً يقذف عليه بالبخور ذو الرائحة النتنة التي يعشقها إبليس وذريته لعنة الله عليهم، رأيت الفسق برداء الكرامات.

ولم أرفي داخل غرفة ذلك المشعوذ كتاب ربي وقرآنه وفرقانه الكريم، ولا حتى سورة أو آية قرآنية معلقة على جدار من جدران الغرفة، تلك الغرفة المظلمة والتي يصعب التنفس بداخلها من كثرة رائحة البخور الفاسد.

قال لي: ما بك؟ ألن تتكلم لكي أريحك وأعيد الفرحة إليك وأقضي حاجتك؟. تكلم وقل ما بك. فقلت له: هناك شخص ظلمني وآذاني، وإنني أريد أذيته جراً فعلته معي، بل أتمنى لو أنني أستطيع قتله والتخلص منه.

فقال: وهل تكرهه لهذا الحد الذي يدفعك أن تتمنى قتله؟.

قلت: أنا لا أتمنى قتله بل أريد قتله، وأتمنى منك أن تساعدني بكرامات على الخلاص من ذلك الظالم.

قال: عشرة آلاف دينار وأعطيك عدة قطرات تضعها له بالماء فترتاح منه إلى الأبد، تلك القطرات لا يظهر تأثيرها إلا بعد عدة أيام، فلا تخش أن يمسك بك احد على فعلتك هذه.. ولكن قبل أن أعطيك ما تريد، أئن تقول لي من ذلك علي، وكيف تجرأت على طلب ما طلبته بلا مقدمات وبشكل مباشر؟

قلت لك.. زهير هو من دنني عليك، وهو أيضاً من قال لي أن أكون صريحاً مباشراً معك.

قال: زهير صديقي، وسبق أن خدمته مثل هذه الخدمة، ولقد خدمني هو الآخر كثيراً، ولذلك بدل أن تدفع عشر آلاف، سأجعلها لك ثمانية فقط، على أن تعدني أن تصبح زبوناً عندي وأن ترسل لي من تأتمنهم من أصدقائك لكي أعالجهم وأحل مشاكلهم.

قلت: أعدك... ولكن هل قطرات الموت جاهزة؟، فأنا جاهز وأحمل معي المال المطلوب.
قال: القطرات جاهزة، فلا تقلق، سأعطيك إياها، ولكن كما قلت لك إن مفعولها لن يظهر إلا بعد عدة أيام، ولذلك فإنه يجب عليك بعد أن تضعها لغريمك أن تسافر أو تبتعد عن المكان حتى لا تصبح مشتبهاً به. وعلى أي حال، ما دمت صديق زهير، فأنا واثق بأنه سوف يدلك على أفضل السبل حتى لا تقع في الخطأ.

مددت يدي اليسرى إلى جيبي فأخرجت منها قرآني، ذلك القرآن صغير الحجم الذي أحمله معي أينما ذهبت، وما إن أخرجت القرآن حتى مددته إلى سلامة أبي الكرامات، فمد يده اليمنى ليأخذه ومد معها يده اليسرى ليعطيني زجاجة صغيرة فيها قطرات السم المميت.

لم أعطه القرآن الكريم الذي كان بيدي اليسرى بل أعطيته خنجري الذي كنت

أمسك به في يدي اليمنى، أعطيته إياه في وسط قلبه... هناك غرسته الغرسة تلو الغرسة، حتى استطعت أن أنزع من قلبه النبات الشيطاني الذي كان يملؤه، مسحت دماء الخنجر بملابسه النتن وأعدته إلى غمده وأعدت قرآني وفرقان ربي إلى جيبتي، ثم غادرت إلى خارج الدار وخارج القرية، خرجت بفضل الله عز وجل دون أن أثير شكوك أحد، ودون أن يلحق بي أحد، لم أكن أنوي قتل ذلك الدجال ذي الكرامات الفاسدة الفاسقة، بل كل ما كنت أريده جزاء زيارتي له هو معرفة ما كان يقوم بفعله وعمله، إلا أنني وجدت أنه من الواجب عليّ أن أخلص العالم من هذا الفاجر، فكل يوم يبقى فيه هذا المشعوذ سوف يكون هناك ضحايا جديدة له، منهم من يقتل بأسحاره وسمومه ومنهم من يكفر لمجرد أنه قام بأعمال الفجور التي يطلبها منه سلامة أبو البركات... قتلته، وأرحت العالم من شروره.

لم يكن ما قمت به ضد شاول ودافيد وبعدها حاييم وأبيه يعقوب، أو الذي فعلته مع زهير وسلامة أبي الكرامات، هو نهاية المطاف والمشوار، على العكس تماماً فلقد كنت أتصيد أولئك المشعوذين واحداً واحداً.. ولم أتوقف أيضاً عن محاولة الدخول والوصول إلى الأنفاق التي حفرها الصهاينة تحت المسجد الأقصى، ما جعلها تبدو وكأنها شبكة متداخلة بعضها في بعض.

فالسؤال بالنسبة لي عبارة عن أمانة حملتها من جدي، وسأحافظ عليها ما دام الله عز وجل يعينني على ذلك... صحيح أن هناك فترات مرّت على مدينة القدس انتشرت فيها بعض أنواع البدع والسحر والشعوذة، إلا أن القدس ويحمد الله رب العالمين كانت دائماً أقوى وأقدر على التصدي لمثل تلك البدع والشعوذات، فالقدس محمية بعون الله من رجال المدينة المقدسة ومن المرابطين، أولئك المرابطون الذين يأتون من مختلف مناطق فلسطين لكي يربطوا في ساحات المسجد الأقصى والمساجد، لكي يمنعوا شياطين الهيكل المزعوم من تدنيس باحات الأقصى ومساجده، ولكي يمنعوا تعرّضه للحرق كما سبق وحرق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين الأيوبي.

في القدس، صفوة الصفوة من الرجال المرابطين الذين نذروا أرواحهم فداءً لبيوت الله عزوجل.. وفي القدس وفلسطين رجال مقاومون أقسموا بالله العزيز أن يقاوموا بأجسادهم العارية ويسكاكينهم وحجارتهم، ويكل ما يملكون من وسائل قتالية بسيطة في مواجهة آلة الحرب والدمار الصهيونية.

تلك الآلة التي لا هدف لها سوى هدم المسجد الأقصى وخرابه ودماره لكي يقام على أنقاضه هيكلهم الشيطاني المزعوم...

ما إن انتهى ذلك العام الذي حُكم عليّ بأن أحياء بعيداً عن مدينة القدس، حتى عدت إليها لأعيش بين أسوارها الحبيبة، ولكي أعاود التجوّل في أزقتها المليئة برائحة الزعتر البري.

إلى القدس عدت بحمد الله، وإلى مطاردة شياطين الهيكل المزعوم عدت أيضاً، قوتي كلها مستمدة من رب العالمين، فأنا على الله توكلت، رافعاً قرآن ربي وسنة رسولي عليه الصلاة والسلام مشيت وتقدّمت.

وكم أتمنى أن يكتب الله لي الشهادة كما كتبها لسيدنا علي ابن أبي طالب عندما اغتيل في المسجد بعد مواقف جليلة ومقامات عظيمة من النصيحة والفضاء والصدق.

وعثمان بن عفان الذي ذُبح وهو يتلو القرآن، وابن الخطاب عمر الذي خرج بدمائه من المحراب... في المحراب بعد أن عاش حياة ملؤها الجهاد والتضحية والبذل والعطاء وإقامة ميزان العدل بين الناس... على درب هؤلاء كنت أتمنى من الله عزوجل أن يكتب لي الشهادة في سبيله ولأجله.

مسك الختام

ها أنا انتقل بكم في هذا المقام من الدفاع والتصدي للسحرة واتباع الشياطين، لدفاع من نوع آخر وهو الدفاع عن جنبات التوحيد، والحفاظ على العقيدة الإسلامية، من كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

وسأبين هنا حرمة السحر والتعامل مع السحرة، بعبارات وجيزة، إلا أنها تحمل في ثناياها وبين طياتها فوائد كثيرة، وكيف لا وهي أدلة من كتاب الله وسنة نبيه، فأقول والله المستعان وعليه التكلان:

جاء الإسلام ليحفظ للناس دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم، وجعل هذه الضرورات الخمس قواعد الخلق في رعاية مصالحهم ودفع مضارهم، فحرم كل اعتداء عليها، فحرم الكفر والردة لإخلالها بأصل الدين، وحرم قتل النفس بغير حق، وحرم الاعتداء على الأموال والأعراض والأنساب، وحرم الاعتداء على العقول بكافة أنواع المسكرات الحسية والمعنوية.

والسحر لم يأت على قاعدة من هذه القواعد إلا وأفسدها، فالسحر والكفر قلما يفترقان، والسحر سبيل لتبذير المال وتضييعه، وهو مفسد للذرية بتفريق رباط الأسرة، وهو مدخل للزنا والاعتداء على الأعراض؛ وهو كذلك سبيل لاغتيال العقول وطمسها، فلا غرو حينئذ أن يقف الإسلام من السحر وأهله موقفا صارماً فقد حرم تعلمه وتعليمه، وأوجب كف الساحر عن سحره، وإقامة الحد عليه تطهيراً للمجتمع من شره ودجله، وحرم على الناس الذهاب إلى السحرة والاستعانة بهم.

وبين يديك- أخي القارئ- جملة من أحكام الشريعة الإسلامية، التي تبين لك كيف وقف الإسلام من السحر وأهله، وكيف تعامل مع أعمالهم وإفسادهم.

حكم تعلم السحر وتعليمه:

اتفق العلماء على أن تعلم السحر وتعليمه وممارسته حرام، قال ابن قدامة- رحمه الله- في «المغني»، «...فإن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، وقال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: «وأما تعلمه- أي السحر- وتعليمه فحرام».

ورغم اتساقهم على حرمة تعلم السحر وتعليمه وممارسته إلا أنهم اختلفوا في تكفير فاعله، فذهب جمهور العلماء ومنهم مالك وأبو حنيفة وأصحاب أحمد وغيرهم إلى تكفيره.

وذهب الشافعي إلى التفصيل، فإن كان في عمل الساحر ما يوجب الكفر، كفر بذلك، وإلا لم يكفر.

واستدل الجمهور القائلون بكفر الساحر بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ قال الحافظ في «الفتح»: «فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفراً وهذا كله واضح».

واستدل الشافعية بما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربوا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) متفق عليه. قالوا: دل الحديث على أن السحر ليس من الشرك بإطلاق، ولكن منه ما هو معصية موبقة كقتل النفس وشبهها.

واستدلوا أيضاً بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن مدبرة لها سحرتها واستعجالاً لعتقها فباعتها عائشة ولم تقتلها «رواه الشافعي والحاكم والبيهقي وصححه الحاكم على شرط الشيخين. قال ابن قدامة تعليقا على أثر عائشة: «لو كفرت لصارت مرتدة يجب قتلها ولم يجز استرقاقها».

قال الشيخ الشنقيطي: «التحقيق في هذه المسألة- يعني تكفير الساحر- هو التفصيل. فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكوكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة «البقرة»، فانه كفر بلا نزاع.. وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر. هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء.»

عقوبة الساحر

اختلف أهل العلم في عقوبة الساحر فذهب الحنفية إلى أن الساحر يقتل في حالين: الأول: أن يكون سحره كفراً، والثاني: إذا عرفت مزاولته للسحر بما فيه إضرار وإفساد ولو بغير كفر. وذهب المالكية إلى قتل الساحر، لكن قالوا: إنما يقتل إذا حكم بكفره، وثبت عليه بالبينة لدى الإمام، وعند الشافعية: إن كان سحر الساحر ليس من قبيل ما يكفر به، فهو فسق لا يقتل به، إلا إذا قتل أحداً بسحره عمداً فإنه يقتل به قصاصاً.

وذهب الحنابلة إلى أن الساحر يقتل حداً ولو لم يقتل بسحره أحداً، لكن لا يقتل إلا بشرطين: الأول: أن يكون سحره مما يحكم بكونه كفراً مثل فعل لبيد بن الأعصم، أو يعتقد إباحة السحر. الثاني: أن يكون مسلماً، فإن كان ذمياً لم يقتل؛ لأنه أقر على شركه وهو أعظم من- السحر، ولأن (لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ فلم يقتله).

واستدل من رأى قتل الساحر بأنه مرتد، والمرتد كافر وحكمه القتل، لقوله ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه) رواه البخاري.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه كتب كتاباً قبل موته بسنة «ان اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال الراوي: فقتلنا ثلاث سواحر في يوم. رواه أحمد وأبو داود.

كما روي قتل السحرة عن عدد من الصحابة منهم عثمان وابن عمر وأبي موسى وقيس بن سعد، ومن التابعين سبعة منهم عمر بن عبد العزيز.

قال الشيخ الشنقيطي: «والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل. لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح. وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي (ﷺ)، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي. والعلم عند الله تعالى، مع أن القول بقتله مطلقاً قوي جداً لفعل الصحابة له من غير نكير.

فك السحر بالسحر (النشرة)

اتفق الفقهاء على أن حل السحر بالرقى والأوراد الشرعية جائز ومشروع، أما حل السحر بسحر مثله فمحرم؛ لأنه لا يخرج عن كونه سحراً محرماً كغيره من أنواع السحر، قال ابن القيم: حل السحر بسحر مثله من عمل الشيطان، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل العمل عن المسحور، ويؤيد هذا قوله ﷺ وقد سئل عن النشرة؟ فقال: (هي من عمل الشيطان) ذكره أحمد وأبو داود.

هذه بعض احكام السحر تعلماً وتعليماً وممارسةً وهي احكام صارمة، القصد منها التنفير عن هذا الفعل الشنيع واجتنابه، وحماية الناس من شره ومفاسده، فكم جلب السحر على الناس من شرور، وأوقع بينهم من عداوات، وأورث بينهم من احقاد، وكم هدم من أسر، وأدخل من ضرر على العباد، ولا يمارسه إلا من باع دينه وذهب خلقه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فينبغي للعاقل ان يجتبه اشد الاجتناب فلا يتعلمه مشافهة ولا قراءة من كتاب، ولا يات ساحراً ولا يسأله فما وراءهم إلا الدمار والهلاك. مكتبة الرمحي أحمد

وهنا أقول أنا راوي الرواية، أن خالدًا العطار ليس حالة فردية في مقاومة السحر والكهانة، بل هناك الكثير من الرجال الصالحين في فلسطين وقدسها، وفي مختلف أرجاء بلاد المسلمين ممن يقاومون السحرة والكهنة والمشعوذين.

فالعطار المقدسي هو مجموعة من الرجال الصالحين قمتُ بجمعهم معاً ليشكلوا مجتمعين بطلاً أو مخلصاً للمدينة المقدسة من أعداء الأمة الإسلامية من شياطين الهيكل المزعوم... فهناك من بين الرجال الصالحين الذين شكّلوا شخصية خالد العطار من استشهد على أرض الواقع أرض القدس المحتلة، وهناك من أبعد عن المدينة المقدسة، وهناك من أبعد عن فلسطين، وهناك من يمكث في أقبية سجون بني صهيون حتى يومنا هذا..

ختاماً اسمحوا لي أن أقول:

يشهد الله عليّ أنني ودّعت الشهيد تلو الشهيد في سبيل إعلاء كلمة الحق، وفي سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى، ويشهد الله عليّ أنني ودعت المبعد تلو المبعد واستقبلت الأسير تلو الأسير.

لم أكتب هذه الرواية وأنا جالس على كرسي هزاز، وأمامي جهاز حاسوب، بل كتبتها وأنا في أحد أقبية العزل الانفرادي الخاص في سجون بني صهيون، تلك السجون التي دخلتها بعد أن مكّنتني الله عز وجل من قتل سبعة وستين صهيونياً، وإصابة خمسمئة وعشرين صهيونياً بعاهات وإعاقات دائمة، وغالبيتهم قد قتلوا أو أصيبوا هناك في المدينة المقدسة في القدس المحتلة التي عاث فيها الصهاينة خراباً وفساداً.

فأنا- ويحمد الله- قبل أن أكون صاحب قلم مقاوم، كنت وما زلت صاحب أعلى حكم تصدره المحاكم الصهيونية على فلسطينيّ مسلم، وهو سبعة وستون مؤيداً وخمسة آلاف ومئتي عام.

وأنا ويحمد الله أيضاً صاحب أكبر ملفّ أمني بتاريخ أجهزة التحقيق الصهيونية الشاباك... والأهم من ذلك كله هو أنني مع الله، ومن كان مع الله لا يخيب رجاءه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الراجي عفوريه

أبو أسامة عبدالله بن غالب البرغوثي

من أقوال المهندس عبد الله البرغوثي

لا تنسوا المهندس في عتمة عزلته لقد كان فيكم للحرية عنوانا

بِحمد الله

الموقع الإلكتروني

<http://daralbargouthi.com>

كلنا مع الأسير الأسد عبد الله البرغوثي

دار البرغوثي للنشر والتوزيع

daralbargouthi@gmail.com



مكتبة الرمحي أحمد tele @ktabpdf

جميع الحقوق محفوظة لدى



مؤسسة الفارسان للنشر والتوزيع

ISBN 9789957606381



9 789957 606381

عمان - الميدلي - هاتف +962 6 5607386
فاكس +962 6 5653470، خلوي +962 7 95208684

Email:alfursan111@yahoo.com



دار البحوث
للنشر والتوزيع

www.daralbarghouthi.com
00982785000488

